التركيبة الاثنية للمجتمع المصري خلال العصر الأيوبي*

م. خالدة سلمان[1] و ا.م.د. شوكت عارف محمد الاتروشي[2]
[1] قسم التاريخ، كلية التربية الاساس، جامعة دهوك، اقليم كوردستان – العراق.
[2] قسم التاريخ، فاكولتي العلوم الانسانية، جامعة زاخو، اقليم كوردستان – العراق.
(تاريخ القبول بالنشر: 8 أيلول 2013)

ملخص البحث

كانت للتغيرات السياسية التي شهدتها مصر بعد سقوط الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين أثرها في الحياة العامة بمصر في ظل الحكم الأيوبي(٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م) الذي حظي بتأييد غالبية فئات المجتمع المصري، وتمكن السلطان صلاح الدين بسياسته ، وشخصيته القوية أن يجعل من مصر مركز استقطاب لمختلف فئات المجتمع التي انضوت تحت حكمه .

وقد شهدت مصر خلال الحقبة موضوع الدراسة حراكاً اجتماعياً بين طبقات المجتمع والعناصر المكونة له، إذ تراجع نفوذ بعض العناصر التي كانت تحتل قمة الهرم الطبقي للمجتمع، وحلت محلها عناصر أخرى مما يؤكد حدوث تغيرات جذرية وجوهرية في التركيبة الأثنية للمجتمع ،كما أن تلك التغيرات أدت إلى مستجدات في السلطة، فقد أستطاع الكرد أن يتبوءوا مكانة مميزة في الهيكل التنظيمي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي في مصر مع بعض الفئات الاخرى كالترك والعرب، كما شكّل أهل الذمة من المسيحيين واليهود شريحة مهمة من شرائح المجتمع المصري، وكان لهم مشاركاتهم الفاعلة في الحياة العامة وشغلوا مراكز مهمة في الجهاز الإداري الأيوبي بعد أن حظوا بالدعم والرعاية الأيوبية، ولم يكن أهل الذمة بمعزل عن حركة المجتمع ونشاطه، إذ كان لهم حق الملكية، وقد ساهموا بنصيب وافر في مجالات الحياة المختلفة ، وتمتعوا بحرية كبيرة في ظل سياسة التسامح الأيوبي ،في حين تقلص دور بعض الفئات الاخرى كالعرب والمغاربة (البربر) والأرمن.

(*) البحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة :" الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الايوبي" ،كلية التربية ، جامعة زاخو ، ٢٠١١

المقدمة:

عُرِفت مصر بتنوعها الأثني- العرقي- حيث التقت على أرضها -منذ أقدم الأزمنة- أجناس عديدة إرتبطت مع بعضها بروابط عديدة متنوعة، ونشأت بينها علاقات إجتماعية، وقد ساعد على ذلك توافر جملة عوامل لعّل في مقدمتها موقع مصرالذي يتوسط قارات أفريقيا وأوربا وأسيا، فضلاً عن دورها الحضاري، كما كان إنتشار الإسلام فيها دور إيجابي لاستقطاب الكثير من الأجناس والقوميات على مّر العصور الاسلامية، ففي العصر الفاطمي، أشار الرحالة ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م)، إلى عناصر وقوميات مختلفة كانت تسكن مصر مثل: المغاربة، والسودان، والارمن، والكُرد، والمماليك، والصقالبة، وغيرهم[1].وقد بقي هذا التنوع ماثلاً للعيان في العصر الأيوبي ، الا أنه حدثت تغييرات جوهرية في التكوين الإثني، والبناء الطبقي للمجتمع المصري حيث تراجع نفوذ بعض العناصر التي كانت تحتل قمة الهرم الطبقي للمجتمع ، مثل: المغاربة والأرمن والسودان، وحّل محلها عناصر أخرى مثل الكُرد، والمماليك والترك، وهو ما سنحاول التركيز عليه من خلال صفحات هذا البحث .

أولاً– المسلمون :

أ– العرب:

كان الفتح الإسلامي لمصر سنة (٢١هـ/٦٤١م)، على يد القائد عمرو بن العاص إيذاناً بقدوم وهجرة العديد من القبائل العربية إليها، بعد أن أصبحت ولاية إسلامية، وكانت قبل ذلك ولاية تابعة للحكم والإدارة البيزنطية(٢)، وانتشر العرب الفاتحون في أماكن ومدن متفرقة من الوجه البحري، والوجه القبلي[٣]، ومن قبائلهم المشهورة بمصر: بلي[٤]، وجذام[٥]، ولخم[٦].

وقد توّزعت تلك القبائل خلال العصر الأيوبي الى مجموعتين، استقر القسم الأول منها: بمدينة قوص في الوجه القبلي (الصعيد)[٧]، وكانت غالبية تلك القبائل من أصول يمنية، مثل: قبائل بلي، وجهينة[٨]، وبنو هلال[٩]، وبنوكنز[١٠]، الذين برز دورهم في مساندة الأيوبيين عند دخولهم مصر، وذكرت المصادر أنّ أسد الدين شيركوه عند إقامته بالجيزة تمكن من أستمالة العرب المقيمين بها من الأشراف الجعفريين الذين استقروا بالاشمونيين في الصعيد الاوسط واحتفظوا بالزعامة على عرب مصر طيلة العصر الأيوبي[١١]، كما وقف الطليحيون[١٢]، والقرشيون[١٣]، الى جانبه وعندما إتجه من قوص صوب الإسكندرية بعد ما وصلته الاخبار بقيام شاور والصليبيين بمحاصرتها ((اتبعه جماعةٌ كثيرة من العربان، وأهل تلك البلاد))[١٤]. وكانت قبائل جذام التي نزلت في الشرقية في الوجه البحري، قد تمتعت بنفوذ و سيادة كبيرة، وأمر السلطان صلاح الدين جماعة من جذام بالسيف والبوق، وحصلوا على الإقطاعات نظير المحافظة على الأمن والاشتراك معهُ في الجهاد ضد الصليبيين[١٥].

وعلى الرغم من ذلك فان أفراداً من تلك القبائل كانت قد تعاونت مع الصليبيين، إذ روى المقريزي أنّ السلطان صلاح الدين عاقب جماعات منهم بسبب متاجرتهم مع الصليبيين، وإمدادهم بالغلال، فأصدر قراراً سنة (٥٦٥هـ/١١٦٩م)، يقضي بإنتقالهم الى البحيرة[١٦]، وإنزال قبائل ثعلبة محلهم ووزع لهم بعض الأراضي الزراعية التي كانت اقطاعاً لقبائل جذام[١٧]. وسكنت قبائل بنو سليم في البحيرة وكانت قد وقفت ضد الأيوبيين في سنة (٥٧٦هـ/١١٨٠م)، فأرسل إليهم السلطان أبو الهيجاء السمين في قوة كبيرة، فغنم أموالهم، وجِمالَهم، وباعها بأثمان رخيصة[١٨]، ومن القبائل العربية التي سكنت مدينة أسوان: قحطان، ونزار، وربيعة، وغيرها وكان أكثرها من الحجاز. وعندما بدأ السلطان صلاح الدين بتنظيم جيوشه أبعد العناصر التي كانت موجودة في الجيش الفاطمي من الصقالبة، والأرمن، كما أبعد الكثير من العرب، والعبيد السودان[١٩].

وكان لبعض القبائل والمجموعات العربية دور كبيرٌ وفعال في مساندة الأيوبيين منذ وقت مبكر، مثل بنو كنانة، حيث ذكر ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، أنهم تلقوا الإمدادات من السلطان صلاح الدين أثناء الهجوم الصليبي على مصر **سنة** (٥٦٥هـ/١١٦٩م)[٢٠] ، واستمر دورهم الجهادي بعد ذلك، ففي عهد السلطان الكامل (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٧م)، شارك عدد كبير من العرب بجانب الجيوش الأيوبية، من أجل استرداد دمياط من أيدي الصليبيين[٢١].

وغالباً ما شكّلت القبائل العربية، ولا سيما البدو الأعراب قوة غير نظامية يجتمعون أثناء الأزمات، كما حدث في عهد السلطان الكامل عندما استولى الصليبيون على دمياط، فنادى بالنفير العام، فالتحق عدد كبير من عربان الصعيد وأعمالها وأسوان بجيش السلطان وبلغ عددهم نحو أربعين ألف مقاتل[٢٢]، وفي عهد السلطان الصالح أيوب شكلت قبائل بنو كنانة قوة غير نظامية – احتياطية – للجيش الأيوبي، وكان لهم دور مشهود في حماية مدينة دمياط أثناء هجوم الحملة الصليبية السابعة عليها في سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، ولكن إخفاقهم في تلك المهمة أدى بالسلطان الصالح أيوب الى اتخاذ إجراءات قاسية ضدهم، فشنق عدداً كبيراً منهم[٢٣].

واستعان الأيوبيون كذلك بالبدو كأدلاء للجيش الأيوبي، وإشتهر بعضهم ولاسيما عرب بنو كنانة بعملهم كأدلاء في الطرقات منذ عهد السلطان صلاح الدين[٢٤]، كما كانوا يكلّفون أحياناً بحماية أقاليم الأطراف وإتخاذ الإجراءات الكفيلة لرد ما اغتصب من الأموال والممتلكات بسبب اعتداءات قطاع الطرق[٢٥]، لكونهم في اغلب الاحيان مثلوا

عناصر شغب وفساد في مصر خلال العصر الأيوبي من خلال شنهم الغارات المفاجئة على السكان، أو القتال الذي كان ينشب بين قبائلهم، ولا يتوقف إلاّ بتدخل الدولة في إنهائه، مثلما حدث في سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م)، عندما ثار العربان في منطقة الصعيد ضد السلطة فخرج اليهم تورانشاه- اخو السلطان صلاح الدين- واخمد حركتهم إذ ((كانوا قد أفسدوا في البلاد ومّدو أيديهم فكفوا عما كانوا يفعلونه))[٢٦]. وحدث الصراع بين قبائلهم في عهد الملك المنصور بن الملك العزيز سنة (٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) في الشرقية، التي كانت ضمن إقطاعات السلطان الكامل، ولم ينته الصراع إلاّ بتدخل الدولة فيه، لكنهم سرعان ما ثاروا في سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م)، في عهد السلطان العادل فكان الضرر والاذى الذي تعرض له السكان من قبلهم اكبر من ضرر الصليبيين لهم[٢٧]، وتكرر ذلك في عهد السلطان الكامل في سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م)، حينما ثار العربان بنواحي مصر وزادت خلافاتهم وكثر ضررهم فاستغل الامير ابو المحاسن العباس بن احمد بن الامير سيف الدين بن مشطوب الهكاري (ت ٦١٩هـ/١٢٢٢م)، تلك الظروف وحاول تنصيب اخاه الالمك الفائز محله[٢٨].

ويتبين من ذلك أن الغالبية من العرب في المدن كانوا يشتغلون في ممارسة الحرف المختلفة، اما في القرى والارياف فكان يقع على كاهلهم الاشتغال في الفلاحة، ومن القبائل التي إشتهر أفرادها بممارسة الزراعة قبائل قيس[٢٩]، اما قبائل جذام، وثعلبة فقد اشتهروا بالتجارة[٣٠]، كما احتفظ البعض منهم بمركز اجتماعي مرموق، وقد يعود ذلك إلى قيامهم بتقديم عدد من الخيول للاشتراك في القتال مع الأيوبيين، أو بما يملكونه من ثروات حيوانية[٣١].

ب – الكُرد :

يرجع الوجود الكُردي في مصر إلى ما قبل العصر الأيوبي إلاّ أنّ المؤرخين لم يُسلطوا الأضواء عليهم، والحديث عنهم بإسهاب إلاّ بعد بروزهم على الساحة السياسية، وتزايد أعدادهم بمصر في النصف الثاني من القرن (٦هـ/ ١٢م)، أما قبل ذلك فقد كان دورهم محدوداً، واقتصر على بعض الشخصيات التي تقّلدت مناصب في الدولة الفاطمية، كالفقيه مالك بن سعيد الفارقي الذي شغل منصب قضاء مصر سنة (٣٩٨هـ/١٠٠٧م)، وبقي فيها حتى مقتله سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م)[٣٢].

كما تقلدّ بعض الكُرد مناصب إدارية مهمة في الدولة الفاطمية، كالأمير علي بن السلار الكُردي الزرزاري الذي كان قبل مقتله (٥٤٨ هـ/ ١١٥٣) [٣٣] ، وزيراً للخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله (٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٥٤م)، وشغل قبل ذلك منصب الوالي على الإسكندرية والبحيرة[٣٤]، ومن مشاهيرالكُرد أيضاً الأمير سيف الدولة أبو عبدالله الحسين بن الأمير فارس الدولة أبي الهيجاء الكُردي (ت٥٥٩هـ/١١٦٣م)، صهر الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك قتل سنة (٥٥٦هـ/١١٦٠م) [٣٥].

كما ورد ذكر الكُرد ضمن أصناف الجيش الفاطمي، إلا أنّ دورهم كان محدوداً للغاية[٣٦]، على عكس العصر الأيوبي حيث برز دورهم بعد أنّ أصبحت لهم الريادة في قيادة الجيش وإدارة البلاد، ويمكن اعتبار تأسيس الدولة الأيوبية من أهم العوامل التي شجّعت الكُرد على الهجرة الى مصر، كما دفع الغزو المغولي بالعديد منهم افراداً وجماعات إلى الهجرة غرباً والاستقرار في البلاد الشامية والمصرية[٣٧]، وقد سبق للكثير منهم أن رافقوا أسد الدين شيركوه في حملاته الثلاث، وزاد تدفقهم بعد تولي صلاح الدين الوزارة الفاطمية، ومن بين الذين إنتقلوا إليها أهله وذويه، وذكر المقريزي ذلك قائلاً: ((فقدم عليه ابوه نجم الدين ايوب واخوتهُ واهلهُ)) [٣٨]، وانتقل معظم القادة الكُرد مع أهاليهم وأقاربهم، واستقروا فيها، وحصلوا على إقطاعات وضيع ،فقد أقطع السلطان صلاح الدين أباه نجم الدين أيوب الإسكندرية، ودمياط والبحيرة[٣٩]، في حين أقطع أخاه تورانشاه قوص، وأسوان، وعيذاب بأرض الصعيد[٤٠]، ثمّ زاد إقطاعه في سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) [٤١]، وحصل الملك تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت٥٨٧هـ/١١٨٣م)، على إقطاعات واسعة في الفيوم[٤٢]، وأعمالها فضلاً عن إقطاعاته في المناطق الواقعة وراء نهر الفرات[٤٣].

ويمكن القول أنّ الدور الريادي الذي إضطلع به الأيوبيون في التصدي للصليبيين كان من العوامل التي شّجعت الكثير من المجموعات والقبائل الكُردية للمشاركة في المشروع الجهادي، حيث إنضمت الى فئات الجيش الأيوبي، وكانت مشاركتهم واضحة الى جانب العنصر التركي، فقد كان مع أسد الدين شيركوه عددٌ كبير من الكُرد والترك ضمن فرقته الاسدية[٤٤]، ومنح أفرادها الكثير من الإقطاعات بمصر[٤٥]، في حين بلغت اعداد هذين العنصريين ضمن الفرقة الصلاحية اثني عشر الف فارس[٤٦]، وأسندت قيادتها الى الأميرحسام الدين أبو الهيجاء السمين الهذباني[٤٧].

ومن خلال تتبعّ التراجم الكُردية في ذلك العصر يمكن القول إنّ الكُرد كانت لهم مشاركة فاعلة ضمن الجيش الأيوبي، فقد ساهموا في حروب الجهاد ضد الصليبيين، ودفع الكثير منهم حياته ثمناً لذلك[٤٨]، وأشادت المصادر بمواقفهم البطولية أثناء ترجمتها لعدد من المقاتلين الكُرد ممن انخرطوا في الجيش بصفة دائمة، سواءٌ كانوا قادة أو أُمراء، أو جنوداً مقاتلين،كالأمير أبو عبدالله محمد بن أبي الثناء محمود بن أبي نصر بن فرج الدويني الجندي (ت ٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، الذي قدم مصر بصحبة شمس الدولة تورانشاه في سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م)، للجهاد، وكان مشهوراً بالشجاعة والإقدام[٤٩]. كما كان الأمير فخرالدين أبو علي أبن أبي زكريا (ت ٦١٨هـ/١٢٢١م)، أحد أُمراء الكُرد المشهورين بمصر[٥٠]، أما أخوه سيف الدين أبو بكر أبن أبي زكريا (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، فقد كانت له مواقف جهادية بمصر، وكان شجاعاً كريماً طيب النفس عالي الهمة[٥١]، والأمير أبو حفص عمربن محمدبن عيسى بن محمد بن احمد الكُردي أخو الفقيه عيسى بن محمد الهكاري، بالقاهرة، وهو أحد امراء الكُرد المشهورين ممن شاركوا في الجهاد ضد الصليبين[٥٢].

كما شارك الكُرد بقوة في الصراعات الداخلية التي نشبت بين أفراد البيت الأيوبي، فقد انضم الكثير منهم الى الفرقة الأسدية التي عرفت بعدائها مع الفرقة الصلاحية لا سيما في حقبة الصراع بين الملكين العزيز واخيه الافضل[٥٣]، وروت المصادر عن الأمير سيف الدين مشطوب الهكاري (ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م)، أنه كان أحد أُمراء الكُرد الكبارالذين قدموا الى مصر، ونافسوا صلاح الدين في منصب الوزارة، لكنه عدل عن موقفه، وأصبح من أكابر الأمراء الصلاحية، وظل في خدمة الأيوبيين، وضمّ إقطاعه نابلس وأعمالها[٥٤]،كما أن الأمير صلاح الدين بن شعبان الأربلي (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، كان قد قدم مصر وخدم السلطان الكامل، وعظمت منزلته عنده، وطلب منه أن يتوسط في الصلح بينه وبين أخيه الملك الفائز، وتمّ له بعقد الصلح بين الأخويين، كما إعتمد عليه في مفاوضاته مع الصليبيين في عكا[٥٥].

ولم تقتصر مشاركة الكُرد على النواحي السياسية والعسكرية فحسب، بل تعدّت ذلك مشاركتهم في جميع نواحي الحياة، ولا سيما الفكرية والإدارية منها، حيث برزت أُسر علمية كالأسرة المارانية[٥٦]، التي كانت من ((البيوت المعروفة بالعلم والرواية والقضاء))[٥٧] ، ومنهم الفقيه صدر الدين عبد الملك بن درباس الماراني (ت ٦٠٥هـ/١٢٠٨م)، خطيب القاهرة[٥٨]، وأُسرة إبن خلكان الأربلي التي كان لأبنائها بمصر وبلاد الشام باع طويل في ((العلم والتقدم والصلاح))[٥٩].

ومن الملاحظ أنّ إسهامات الكُرد في الحركة العلمية بمصر جاءت متوازية مع دورهم الفاعل على الصعيدين السياسي والعسكري، وقد أهّلت المكانة العلمية الكثير من الكُرد لتولي المناصب المهمة، كالقضاء، فقد تولى قاضي القضاة أبو القاسم عبدالملك بن عيسى بن درباس بن فير بن جهم بن عبدوس الماراني الشافعي (ت ٦٠٥هـ/١٢٠٨م)، الذي وُلِيَ القضاء بالغربية، ثمّ قضاء القضاة بالديار المصرية مدة طويلة، كما أُضيفت إليه من الأعمال الشامية بلاد عديدة، وُلِيَ نوابه بها، كما وُلِيَ ديوان الأحباس[٦٠] بجميع الديار المصرية[٦١]، والفقيه أبو إسحاق ابراهيم بن أزبك السنجاري الشافعي (ت٦٤١هـ/١٢٤٣م)، تفّقه على مذهب الشافعي، وتّولى القضاء ببعض نواحي مصر، كما تولّى القضاء بغزة من أرض الشام[٦٢].

ومن الجدير بالذكر أنّ الكُرد إنتشروا في كافة الحواضر المصرية، إلاّ أنّ وجودهم في القاهرة كان كثيفاً، وكانت لهم حارة خاصة تعرف باسمهم حارة الاكراد[٦٣]، كذلك عرفت حارة الأُمراء بحارة تورانشاه نسبة الى سكناه فيها[٦٤]، كما نزل بعضهم في القصور الفاطمية[٦٥]. وفي المصادر التاريخية ذكر للعديد من المجموعات، والقبائل الكُردية التي تواجدت في مصر خلال العصر الأيوبي لعلّ من أشهرها:القبيلة الهذبانية، التي برز عدد من افرادها كقادة سياسيين وعلماء منهم الأميرحسام الدين أبي علي الهذباني (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، الذي تمتع بنفوذ سياسي كبيرفي عهد الملك الصالح أيوب وكان ينظم الشعر ايضاً[٦٦]، وهناك الاسرة الروادية[٦٧]،التي برز من علمائها: الفقيه العّلامة أبو عمر عثمان بن عمر بن أبي بكر إبن الحاجب المالكي (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، وكان والده حاجباً للأمير عزالدين موسك الصلاحي، ودرس إبن الحاجب منذ صغره على يد كبار علماء الإسكندرية، وله تصانيف كثيرة أبرزها كتاب في الفقه المالكي سماه (مختصر منتهى السؤل والامل) وكتابه الشهير الاخر (القافية في النحو)، فضلاً عن مجموعة كتب أُخرى، واشتهر في الإسكندرية، وكان يتردد إليه كثير من الناس[٦٨].

ومن القبائل الكُردية الأُخرى التي برزت في مصر الزرزارية، حيث انتشر ابنائها في مصر والشام قبل العهد الايوبي، ومع قيام الدولة الأيوبية في مصر إلتحق رجال الزرزارية بالمعسكر الأيوبي، ومنهم من تبوأ مراكز قيادية كشيركو بن باخل الزرزاري، ونوشيروان الزرزاري، وجمال الدين خوشترين الزرزاري[٦٩].كما أنّ القاضي الشافعي المعروف بدر الدين يوسف بن الحسن بن علي السنجاري (ت ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م)، وأخوه القاضي برهان الدين الخضر(ت ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)، من الزرزارية وهما من كبار قُضاة مصر خلال العصر الأيوبي، ومطلع العصر المملوكي[٧٠].

وقد نزحت الى مصر مجموعات أُخرى من القبائل الكُردية كـ: القبيلة البابيرية التي نزح الكثير من أبنائها وموطنهم في شهرزور صوب بلاد الشام ومصر هرباً من غارات المغول في النصف الثاني من القرن(٧هـ/١٢م)، ودخلوا في خدمة الأيوبيين[٧١].

واستوطنت جماعات من القبيلة الكيكانية[٧٢]، في اقليم الفيوم، وكانوا على ما يبدو قد التحقوا بالأيوبيين بمصر، وحصلوا لقاء خدمتهم في الجيش على إقطاعات، فقد أشار النابلسي

(ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، إلى الأمير عز الدين خضر بن محمد الكيكاني الذي كانت له مع أخوته إقطاعات كبيرة من بساتين الكروم والنخيل بولاية الفيوم بمصر في اواخر العصر الأيوبي[٧٣].

كما إلتحق العديد من أبناء القيمرية، والمهرانية، والهكارية، والحميدية[٧٤]، بصفوف الجيش الأيوبي، وصار بعضهم من كبار قادته، وكان للكُرد المهرانية الدور الريادي في تحرير بيت المقدس[٧٥]، كما برز من الهكارية قادة كبار كالأمير سيف الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي الهيجاء المعروف بالمشطوب الهكاري، وكان من أبرز الأُمراء الكُرد بجيش صلاح الدين، وتوفي سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م)[٧٦]، وابنه الأمير عماد الدين أحمد بن سيف الدين المشطوب الهكاري (ت٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)، الذي كان هو آلاخر أحد الأمراء الصلاحية[٧٧]، وكذلك الفقيه ابو محمد عيسى بن محمد بن عيسى الهكاري الذي كان المستشار السياسي والعسكري للسلطان صلاح الدين، وسبق له الخدمة في جيش اسد الدين شيركوه، وأمَّ به في الصلوات الخمس توفي سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) [٧٨].

جـ – الترك :

شكّل الترك أحد عناصر المجتمع المصري، وقد سبق للفاطميين أن استعانوا بهم في الجيش[٧٩]، حيث كان في الجيش الفاطمي فريق يسمى بـ: (المشارقة)، نسبة إلى المشرق الجهة التي قدم منها اجدادهم ومعظمهم من الأتراك، والأعاجم ، وسبب تسميتهم بالمشارقة تمييزاً لهم عن العرب، وأغلب هؤلاء المشارقة كانوا مولوديين في مصر[٨٠].

وعندما آلت السلطة بمصر إلى الأيوبيين لم يستغنوا عن العنصر التركي، ولا سيما في الجيش، ولا يخفى انّ الدولة

الأيوبية في توجهاتها السياسية ونظمها الإدارية كانت إمتداداً لدولة نور الدين محمود زنكي بالشام[٨١]، لذا نعتت المصادر التاريخية احياناً الدولة الأيوبية بـ- دولة الترك- ومن ذلك ما أورده ابن الأثير من إشارات عِدّة منها عند ذكره خبر زواج ابنة الوزير الصالح طلائع التي تزوجت سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، من الخليفة العاضد الفاطمي حيث ذكر بأنها عاشت حتى خرج الأمر من العلويين الى الأتراك [٨٢].

كما أشار الرحالة ابن جبير إلى أنّ الغز الأتراك قد استولوا على الدولة العبيدية[٨٣]، في حين ذكر المؤرخ ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، أنّ الخليفة الفاطمي العاضد عندما خاف عاقبة أمر صلاح الدين بمصر أمر خادمه مؤتمن الخلافة بقتال الترك الغز[٨٤].

وقد شكل الترك العنصر الرئيسي في الجيش الأيوبي، إذ جاءوا بالمرتبة الثانية بعد الكرد من حيث العدد، فعندما قام صلاح الدين بإعادة تنظيم جيشه اعتمد بالدرجة الأولى على الكرد والترك، الذين بلغ مجموعهم في الجيش نحو إثنا عشر ألف فارس[٨٥]. وفاق أهميتهم أحياناً العنصر الكردي الحاكم، لا سيما أنّ بعض خلفاء السلطان صلاح الدين توجسوا خيفة من منافسة أبناء جلدتهم لهم لذلك لجاوا الى الإكثار من الترك والعرب وغيرهم من العناصر[٨٦]، ووقع الخلاف بين الأتراك والكُرد، مثلما حدث سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م)، إذ اشتبك الطرفان، وقتل منهم عددٌ كثير[٨٧].

وكان السلطان الصالح أيوب قد إستكثر من شرائهم، والاهتمام بهم، حتى أصبحوا بالمرتبة الأولى ضمن افراد جيشه، وبنى لهم قلعة الروضة التي تحيط بها نهرالنيل من جميع جهاتها، وانتقل للسكن فيها معهم[٨٨]، إذ ذكر المقريزي ذلك قائلاً: إن ((الملك الصالح هو الذي أنشأ المماليك البحرية بديار مصر، وذلك لما...، زال عنه ملكه، بتفرق الأكراد وغيرهم من العسكر عنه، حتى لم يثبت معه سوى مماليكه، رعى لهم ذلك فلما استولى على مملكة مصر اكثر من شراء المماليك، وجعلهم معظم عسكره... فصاروا بطانته والمحيطين بدهليزه، وسماهم البحرية لسكناهم معه في قلعة الروضة على بحر النيل)) [٨٩]، وبلغ عددهم ما بين ثمانمائة الى ألف مملوك[٩٠]، ودربوا على الفنون العسكرية والفروسية فبرعوا فيها، وأصبحوا فرساناً ومقاتلين من الدرجة الأولى، لذا نلاحظ أنهم برزوا في المجال العسكري، ولم ينافسهم في ذلك أحد من حيث القوة والعدد والعدة[٩١].

د- السودان (٩٢):

شّكل السودان أحد عناصر المجتمع المصري، ومعظمهم من النوبيين، وكانوا يمثلون قوة لا يستهان بها منذ أيام أحمد بن طولون (٢٥٤-٢٦٦هـ/٨٦٨-٨٧٩م)، حيث كان في جيشه نحو اثني عشرالفاً من السودان[٩٣]، وضّموا بمصر مجموعات وطوائف عديدة ورد ذكرها في المصادر منها: الريحانية، والجيوشية، والفرحية[٩٤]، والميمونية والحسنية، والمنصورية، وكان لهم شان كبير في العصر الفاطمي، ((بعد ان كانت البلاد كلها لا تخلو مدينة ولا محلة من ان يكون فيها مكان معد للعبيد ، محميٌ لا يدخلُه والٍ ولا غيره، وكان منهم ضرر على الناس))[٩٥].

كما وصفت المناطق التي انتشر فيها السودان، بأنها تمتد من مصر وولاية النوبة جنوباً حتى ولاية المصامدة وهي أرض ذات مراعٍ عظيمة دائمة الخضرة سمينة القطعان، وسكانها سود وأجسامهم قوية، غالبيتهم من جند مصر، ويؤلفون غالبية جيش المشاة في مصرولديهم مهارة كبيرة بأساليب الحرب والقتال بالسيوف والرماح[٩٦].

ومن السودانيين الذين كانوا شديدي الولاء للفاطميين المصامدة الذين تمردوا على السلطان صلاح الدين فأخرجهم من القاهرة، وذكر المؤرخ إبن واصل ذلك بقوله: ((فشرعنا في تلك الطوائف من الأجناد السودان، والأرمن فأخرجناهم من القاهرة...))[٩٧]. وأورد القاضي الفاضل في رسالة كتبها وبعثها وبعثها السلطان صلاح الدين الى الخليفة العباسي المستضيء (٥٦٦-٥٧٥هـ/ ١١٧٠-١١٧٩م)، أن أعداد السودان الذين قضي عليهم بلغوا زهاء مائة ألف رجل[٩٨]، وهو رقم مبالغ فيه لكنه دليلٌ على كثرة القتلى الذين كانوا بالالوف.من جهة أخرى تواجدت في مصر الكثير من الجاليات السودانية، حيث ساهمت عوامل عديدة في تدفقهم إلى مصر طيلة العصر

الأيوبي، لعْلّ في مقدمتها توافدهم السنوي لأداء فريضة الحج، حيث كان يتوجب عليهم في طريق ذهابهم وإيابهم أن يمرو بمصر لكونها تقع على طريق الحاج بين بلادهم والأماكن المقدسة في الحجاز[٩٩].

وقد أتاحت رحلات الحج عبر الأراضي المصرية فرصة لتواجد الكثير من الجاليات السودانية في مصر طيلة العصرين الأيوبي والمملوكي، حيث كانت تتدفق إليها سنوياً مواكب الحجاج القادمة من بلاد السودان، وكان منهم من يبقى في مصر لبضعة أشهر للاقامة فيها، وذلك من اجل التفرغ لتلقي العلوم والمعارف التي كانت مزدهرة فيها[١٠٠].

هـ- المغاربة (البربر):

تواجد المغاربة(البربر) في مصر منذ عصور قديمة، وسبق لقبائل البربر أن شاركت الجيوش الفاطمية بقيادة جوهر الصقلي في فتح مصر سنة (٣٥٨هـ / ٩٦٨م)، إذ كان بصحبة جيشه العديد من المقاتلين ممن ينتمون إلى قبائل البربر مثل: لواتة، ومزاتة، وزنارة، وهوارة، ومغيلة، وكتامة وعمارة، ونفوسة[١٠١]، وكانت لهم بالقاهرة حارة تعرف بحارة كتامة بالقرب من الجامع الازهر، ومن اشهر قبائل البربر التي إستوطنت مصر، وكان لها وجود في العصر الأيوبي قبيلة زويلة، وبنيت لهم حارة عرفت بـ(زويلة) بالقاهرة[١٠٢]، وصنهاجة[١٠٣]، وبرقة نسبة الى مقاطعة برقة في ليبيا[١٠٤]، وقبائل مغيلة، وكانت مساكنهم بالبهنساوية من صعيد مصر[١٠٥]. ومن قبائلهم أيضاً هوارة[١٠٦]، وكانت مساكنهم في البحيرة، غربي الإسكندرية إلى العقبة الكبيرة من جهة برقة، وكانت قد تفرعت منها بطون كثيرة مثل بني مجرش، وبنو اسرات، وبنو قطران، وبنو كريب، وإستقروا فيها طوال العصر الأيوبي حتى أنزلهم المماليك في منطقة الصعيد الأعلى[١٠٧].

وبمجيء الأيوبيين تراجع دور المغاربة السياسي، عما كان عليه في ظل الفاطميين، على الرغم من إستمرار تدفق هجراتهم الى مصر بصفتهم طلاب علم، أوتجار، أو حجاج، أو مجاهدين طيلة القرن(٧هـ/١٣م)، وإندماج الكثير منهم في المجتمع المصري، وكانت لهم إسهاماتهم على أكثر من صعيد، فقد مارسوا حرفاً مختلفة، ويُستدل ذلك من تراجم بعضهم انه كان منهم: الطحان، والدقاق، والبزاز، والصواف، والخراز، والسراج، والحداد، كما شاركت جماعات منهم ضمن الجيش الأيوبي بصفتهم جنوداً غير نظاميين رغبة في الجهاد ، كما أشرف بعضهم على الحمامات الخاصة بالجيش الأيوبي في أثناء قتال الصليبيين[١٠٨]، كما و اشتغل بعضهم في الأسطول المصري طوال العصر الأيوبي[١٠٩].

وقد عرف عن السلطان صلاح الدين إهتمامه ورعايته لهؤلاء المغاربة، ولاسيما طلاب العلم، وكذلك الفقراء والصوفية منهم ممن إنقطعت بهم السبل للعودة الى بلادهم بعد أدائهم فريضة الحج، ووصف الرحالة الأندلسي ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) كثرة اهتمام السلطان بهؤلاء المغاربة بقوله: ((ومن أشرف هذه المقاصد أيضا أن السلطان عين لأبناء السبيل من المغاربة خبزتين لكل إنسان في كل يوم بالغاً ما بلغوا، ونصب لتفريق ذلك كل يوم إنساناً أميناً من قبله فقد ينتهي في اليوم الى ألفي خبزة أو أزيد بحسب القلة أو الكثرة، وهكذا دائماً، ولهذا كله أوقاف من قبله...))[١١٠].

وبلغ كثرة اهتمام السلطان صلاح الدين بهؤلاء المغاربة أن أمر في سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م)، عند زيارته الإسكندرية بإنشاء مدرسة لهم على ضريح أخيه الملك تورانشاه فضلا عن بناء الكثير من دور العلم المخصصة لطلبة العلم وأهل العبادة والتقوى الذين كانوا يقدمون من جميع الاقطار، وإتسع إعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء حتى امر بتعيين حمامات لهم يستحمون فيها متى ما إحتاجوا الى ذلك، وبنى لهم مارستاناً لعلاج من مرض منهم، وخصص لهم اطباءً يتابعون صحتهم[١١١].

وإذا كان السلطان صلاح الدين قد شّجع المغاربة، ورحب بقدومهم، وبالغ في إكرامهم، فقد دعا السلطان الكامل إلى اخراجهم من القاهرة، كما ان معاملتهم قد ساءت في أواخر العصر الأيوبي، وقد وصف احد المؤرخين ذلك بقوله: ((وهم من القدوم عليها- على مصر- بين حالتين إن كان المغربي غنياً طولب بالزكاة، وضيقت عليه أنفاسه حتى يفر منها، وإن كان مجرداً فقيراً جعل في السجن حتى يحين وقت الأسطول))[١١٢]، وربما يرجع سبب سوء معاملة السلطان

الكامل للمغاربة إلى احتفاظ معظمهم بطابع البداواة، ولم يسلم الناس من أذاهم[١١٣].

ثانياً – المسيحيون :

شكل الأقباط [١١٤] شريحة كبيرة العدد ، وكانوا يمثلون من حيث التركيب السكاني الغالبية العظمى في المجتمع المصري ، أثناء الفتح الإسلامي لمصر في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وهم من سكان البلاد الأصليين وسموا بالأقباط تمييزاً لهم عن العناصر الأخرى التي سكنت مصر كـ: الاغريق والرومان واليونان[١١٥]، وغالباً ما عمّمت التسمية على غير المسلمين من المسيحيين، حيث ذكر المقدسي (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م)، الذي زار مصر في العصر الفاطمي ((أنّ عامة ذمة النصارى يقال لهم القبط))[١١٦]، كما أطلق عليهم وعلى اليهود مصطلح–أهل الذمة–[١١٧]، وعلى مّر التاريخ دخل الكثير منهم في الإسلام متأثرين بتعاليمه السمحة[١١٨].

وعلى قدر تعلق الأمر بالعصر الأيوبي فقد كان للأقباط مشاركة فاعلة في الحياة العامة، لكونهم يمثلون شريحة أساسية في المجتمع المصري، وانتشروا في الكثير من المدن والقرى المصرية، وكانوا يشكلون الغالبية في بعضها كـ: الفيوم، وبهنسا، وأسيوط، وادرنكة[١١٩]، التي كانت من قرى النصارى الصعايدة، وعرف أهلها بحرصهم الشديد في المحافظة على عاداتهم، واشتهروا بالعلم والمعرفة أيضاً، كما عرفت منية الأمراء بأن أكثر ساكنيها من الاقباط[١٢٠].

لقد تعرض الاقباط في بداية الحكم الأيوبي، وفي حقبات زمنية اخرى لاحقة الى بعض المضايقات والقيود الاجتماعية، التي كانت امتداداً لما سبقها من حقبات، ففي بداية مجيء الأيوبيين، وخلال وزارة أسد الدين شيركوه فانه أمر أهل الذمة (المسيحين واليهود)، ببعض القيود الاجتماعية، وسار السلطان صلاح الدين على نهج عمه، وفرض عليهم ما إصطلح تسميته بـ:العهد العمري أو (الشروط العمرية)[١٢١]، والتزموا بها في حياتهم العامة والخاصة لقاء تمتعهم بالأمان، فأمر بمنعهم من العمل في دواوين الدولة، إلاّ من أسلم منهم[١٢٢]، وأن يعلّقوا أجراساً في أعناقهم، كما أمر بنزع الصلبان الخشب من فوق قباب الكنائس في جميع أنحاء مصر، ومنعهم من دق الناقوس، وأن تكون أصواتهم منخفضة في الصلاة، وألزامهم بلبس الغيار، وشّد الزنار[١٢٣]، ومنعهم من ركوب الخيل والبغال بأستثناء من كان طبيباً أو كاتباً[١٢٤].

كما أنّ السلطان صلاح الدين أمر المحتسب[١٢٥] بالإشراف على أهل الذمة، وضرورة أخذهم بالقيود الشرعية التي تتضح من العهد الذي كتبه القاضي الفاضل لأحد ولاة الحسبة، وجاء فيه ((... وخذ من النصارى واليهود والمخالفين الغيار وشد الزنار ...))[١٢٦].

وما دفع السلطان صلاح الدين في بداية حكمه باتخاذ تلك الإجراءات تجاه أهل الذمة راجعٌ الى جملة عوامل، منها قيام بعض المسيحيين واليهود لاسيما ممن تضررت مصالحهم بالمشاركة في المؤامرات والدسائس التي كانت تحاك ضد الحكم الأيوبي بهدف إعادة الدولة الفاطمية، كما أنّ غلبة روح الجهاد ضد الصليبيين كانت السمة البارزة لذلك العصر والتي أدّت الى تغيير نظرة المسلمين عامة، والأيوبيين خاصة لأهل الذمة[١٢٧]، ومما زاد الأمر سوءاً قيام الصليبيين أثناء وزارة صلاح الدين للعاضد بالهجوم على دمياط، وأحدثوا الكثير من الخراب والمفاسد عند استيلائهم عليها مما أدى الى نفور قلوب العامة منهم، ومن جميع أهل الذمة من سكان مصر[١٢٨]،كما أنّ هناك من يورد مشاركة بعض المسحيين في حريق الفسطاط سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م)، مما أدّى إلى تغير موقف السلطان صلاح الدين تجاههم(١٢٩). مما يدل على انه كان للمسيحين يد مع الصليبيين.

ومن الحركات المعادية التي قام بها المسيحيون في عهد السلطان صلاح الدين، هجوم ملك النوبة المسيحي على مصر والذي إنتهز فرصة غياب السلطان عنها فهجم عليها، واستولى على مدينة أسوان في اخرالصعيد ، وأسر عدداً كبيراً من المسلمين، فأرسل إليه السلطان صلاح الدين جيشاً فقتلوا بعضهم وأسروا البعض الأخر[١٣٠]، ومن مواقفهم المعادية للأيوبيين مشاركة أهل مدينة قِفْطُ، في سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)، لداعية شيعي ادعى النسب الفاطمي، فوجّه إليهم

السلطان أخاه السلطان العادل فقتل أعداداً كبيرة منهم، وصلبهم على أشجار المدينة[١٣١].

وفي سنة (٥٩٢هـ / ١١٩٥م)، قرّر الملك العزيز منع إستخدام أهل الذمة في شيء من الخدم السلطانية، وأعاد قرار إلزامهم بلبس الغيار، ومنعهم من استخدام المسلمين في أعمال الخدم فضلاً عن منعهم من إقتناء الجواري والعبيد، لكنهم توجهوا إلى الملك العزيز وطلبوا العفو فأعطي لهم بشرط أن يبيعوا ما عندهم من الجواري والعبيد ولا يستخدموا المسلمين عمالاً عندهم[١٣٢]. ومنع القبط أحياناً كغيرهم من أهل الذمة ركوب البغال، واقتصر ركوبهم على الحمير، فوصف عبد اللطيف البغدادي الذي زار مصر سنة (٥٩٨هـ/١٢٠١م)، تلك الحمير بقوله: انها كانت ((فارهة جداً، وتركب بالسروج وتجري مع الخيل والبغال النفيسة، ولعلها تسبقها وهي مع ذلك كثيرة العدد ومنها ما هو غالي الثمن اذا ركب بسرج إختلط مع البغلات، يركبه رؤساء اليهود والنصارى))[١٣٣]، والجدير بالذكر ان الملك العزيز لم يستمر في موقفه المتشدد تجاههم مدة طويلة، لا سيما بعد أن تحقق من إخلاصهم له، وبالأخص الأقباط اليعاقبة الذين لم يسلموا كذلك من أذى الصليبيين عندما نزلوا مدينة فرما التي تقع بين العريش والفسطاط، لأول مرة فقتلوا أعداداً كبيرة من المسلمين والمسيحيين دون تمييز، وكان اليعاقبة يتجسسون لصالح الأيوبيين[١٣٤]. وفي عهد السلطان الصالح أيوب، نلاحظ انه أعاد بعض تلك الشروط التي فرضت عليهم في عهد السلطان صلاح الدين حيث ذكر إبن سعيد أنّ: ((النصارى بها يمتازون بالزنار في أوساطهم، واليهود بعلامة صفراء في عمائهم، ويركبون البغال، ويلبسون الملابس الجليلة))[١٣٥].

كما ألزم القبط في ذلك العصر بدفع ضريبة الجوالي[١٣٦]،حيث كانت تؤخذ من البالغين دون النساء والصبيان والعبيد والمجانين والشيوخ والفقراء، وكانت تستحصل بداية السنة الهجرية، واختلفت قيمتها من عصر إلى آخر، ففي عهد السلطان صلاح الدين فرضت على الشخص من الطبقة العليا الأغنياء مبلغ اربعة دنانير وسدس عن كل راس، ومن الطبقة الوسطى حوالي درهمان[١٣٧] وربع برسم المباشرين على جباية الجوالي[١٣٨]، وفي آواخر العصر الأيوبي أصبحت تلك الجزية موحدة بدينارين على جميع أهل الذمة[١٣٩]، وكانت حصيلة الجزية هذه تدر على الدولة بأموال كثيرة، فقد ذكر القاضي الفاضل في متجددات سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، أنها بلغت نحو مئة وثلاثين ألف دينار، وفي عهد الملك العزيز وتحديداً ما بين سنتي (٥٩٢-٥٩٣هـ/١١٩٥-١١٩٦م)، زادت نسبة ضريبة الجوالي بسبب الأزمات المالية، بينما بلغ متحصل هذه الجزية في عهد السلطان الصالح أيوب في إقليم الفيوم وحده مبلغ الفين ومائتين واربع وثمانون ديناراً[١٤٠]، التي كانت أكثر إنتاجاً من جميع بلاد مصر، وذلك لما تتمتع به من الخيرات[١٤١].

وعلى الرغم من ذلك فان الأقباط تمتعوا بحقوقهم الدينية والمدنية في ظل الدولة الأيوبية، بل أخذوا بعد زوال أسباب المضايقات والقيود، ينشطون على جميع الأصعدة، ونالوا من عدالة وتسامح السلطان صلاح الدين الكثير، وحظوا كغيرهم من أهل مصر برعاية الأيوبيين، وتمتعوا بمكانة إجتماعية متميزة، وعاشوا حياة هادئة[١٤٢]، كما امتلك بعضهم الأراضي إما عن طريق الوراثة أو عن طريق الإقطاعات التي حصلوا عليها من قبل الأيوبيين، حيث أقطع السلطان الكامل طبيبه الخاص موفق الدين أبو شاكر بن أبي سليمان (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، الإقطاعات الواسعة، وشملت نصف بلدة تعرف بالعزيزية والخربة من أعمال الشرقية، كما كان يمتلك منزلة كبيرة عند والدهِ السلطان العادل[١٤٣]، وبموته إنتقلت إقطاعاته الى الطبيب رشيد الدين ابو الوحش بن فارس (ت٦٠٦هـ/١٢٦١م)، وكان هو الاخر طبيباً للسلطان الكامل، وبعد موت الاخير خدم ابنه االسلطان الصالح أيوب وقد بنى رشيد الدين المدرسة المهذبية خارج باب زويلة وغيرها من المنشآت[١٤٤].

من جهة اخرى كان للاقباط لغتهم الخاصة، إلا أنها كانت على ما يبدو قد بدأت بالإنحسار أمام إنتشار اللغة العربية منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، لذلك لم يستخدموا لغتهم إلا على نطاق ضيق في كنائسهم، أو في بيوتهم باستثناء بعض مناطقهم التي حرص أهلها في المحافظة على لغتهم،

كقرية أدرنكة التي ذكر المقريزي عنها ((... ونساء النصارى وأولادهم لا يكادون يتكلمون إلا بالقبطية الصعيدية))[١٤٥].

وشارك الاقباط في مجالات الحياة إلادارية والإقتصادية والإجتماعية، فعلى المستوى الإداري برز الكثير منهم في العمل في وظائف الدولة، منهم: الأسعد بن مماتي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، الذي أسلم على يد اسد الدين شيركوه[١٤٦]، وكان عالماً، بارعاً في نظم الشعر، ووصف بكونه من أهم شعراء عصره وله ديوان شعر، وعمل في دواوين الدولة الأيوبية طيلة حياته[١٤٧]، والتقى به العماد الأصفهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، في القاهرة سنة (٥٧٧هـ/ ١١٨١م) وكان وقتها يتولى ديوان الجيش[١٤٨]، كما تولى الى جانب وظيفته مهمة ناظر ديوان المال[١٤٩]، وله في ذلك كتاب شهير بعنوان (قوانيين الدواوين) وبذلك كسب محبة وود السلطان، ومن بعده إبنه الملك العزيز، وعاش حياةً مرهفة وامتلك الكثير من البساتين والمزارع[١٥٠]، واستمركناظر للدواوين الأيوبية حتى سنة (٦٠٢هـ/١٢٠٥م)، عندما تولى الوزير صفي الدين بن شكر الوزارة زمن السلطان العادل فصادر أموال أكابر موظفي الدواوين، وترك على أثرها إبن مماتي مصر متجهاً إلى مدينة حلب وبقي فيها حتى وافته المنية[١٥١].

ومن الواضح أنّ القبط شغلوا حيزاً كبيراً في الجهاز الإداري الأيوبي، ولا سيما في بعض المجالات المهمة كالخراج لشهرتهم الواسعة في ذلك المجال[١٥٢]، حيث برعوا في مجال الحساب، مما دفع المسلمين الى إرسال أبنائهم الى كتاتيب النصارى لكي يتعلموا منهم الحساب[١٥٣]، ويبدو ان ذلك راجعٌ الى أنّ المدارس خلال العصر الأيوبي كانت قد أولت اهتماماً كبيراً بعلوم الدين أكثر من العلوم العقلية الصرفة.

من جهة أخرى فإن تحلي الكثير من الأقباط بالأمانة والإخلاص جعلهم محل ثقة السلاطين الأيوبيين الذين أظهروا لهم الكثير من الرعاية والود والتسامح والعطف، وقلدوهم مناصب في غاية الأهمية، فعلى سبيل المثال اتخذ السلطان صلاح الدين من الكاتب صفي الدين ابن أبي المعالي الذي ينتمي الى أسرة قبطية مشهورة كاتباً له، وأمّنه على سره، وكان يقرأ الكتب الواردة إلى السلطان، وكتابة أجوبتها.

وشغل آخرون مناصب آخرى في الدولة الأيوبية كإبن المصرف الذي كان أميناً على أموال الدولة زمن السلطان صلاح الدين[١٥٤]، والشيخ أبو الفتوح بن الميقاظ الملقب بنشوءُ الخلافة، الذي عمل كاتباً في ديوان الجيش في عهد السلطان العادل، وتولى أبو سعيد بن أبي اليمن النصراني القبطي المعروف بابن النخال كتابة ديوان الجيش عند السلطان العادل وأسلم على يده، ولما انتقلت السلطة إليه في مصر عهد بالوزارة الى ابن النخال في سنة (٥٨٢هـ/١١٨٦م)، وبقي في منصبه حتى وافته المنية[١٥٥].

وبرز من الأقباط أيضاً شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي (ت ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)، الذي أسلم زمن السلطان الكامل، وتولى نظر الدواوين في عهد السلطان الصالح أيوب وانشأ المدرسة الفائزية في القاهرة[١٥٦]، وكذلك كان الأسعد أبو الفرج صليب بن ميخائيل صاحب ديوان السلطان الصالح أيوب[١٥٧]، كما عمل علم الدين إبراهيم بن أبي الثناء كاتباً في خدمتهِ ونظم الشعر أيضاً، وظل الأقباط يشغلون المناصب الإدارية حتى نهاية العصر الأيوبي، ومن كّتاب الاقباط الذين خدموا في الدولة الأيوبية تاج الدولة اسحق بن أبي الثناء المعروف بابن الكاتب قيصر، وكان أحد أعيان القاهرة، وتولى بعض الأعمال السلطانية، والى جانب مهمة الكتابة مارس نظم الشعر وكان أحد اهم شعراء عصره[١٥٨]، في حين كان معين الدين هبة الله بن حشيش الذي أسلم على يد الملك المعظم تورانشاه كاتباً عنده[١٥٩]، وقد ظهر من بين الأقباط من اشتهر في مجال الهندسة، وقد اشرف اثنان منهم على بناء سور القاهرة وهما أبو المنصور، وأبو مشكور[١٦٠]، مما يؤكد منزلتهم ودورهم في ذلك المجال.

وبرع الأقباط خلال العصر الأيوبي في مجال الطب، وفقد اختص الكثير منهم بالسلاطين الأيوبيين أنفسهم، ورافقوهم في حلهم وترحالهم، ونالوا من قبلهم التكريم والرعاية، من جهة أخرى تمكن الأيوبيون بسياستهم الحكيمة من إستقطاب بعض الأطباء من غير المسلمين الذين رحلوا الى مصر وآثروا البقاء والإستقرار فيها، كالطبيب موفق الدين اسعد بن إلياس بن جرجيس المشهور بابن المطران (ت ٥٨٧هـ/ ١١٩١م)،

الذي كان يعمل في بداية أمره بالبيمارستان الكبير الذي انشأه نور الدين محمود زنكي في دمشق يعالج المرضى المقيمين فيه، ثم إنتقل الى خدمة السلطان صلاح الدين وحظي باحترامه، وتقدم عنده حتى اصبحت له مكانة مرموقة[١٦١]، وعندما اعلن اسلامه زوجه السلطان احدى حظاياه واسمها (جورة)، وكان ابن المطران كثير الاشتغال بالطب، وله تصانيف تدل على فضله ونبوغه، كما كانت له همة عالية في تحصيل الكتب حتى انه مات وفي خزانته من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة الاف مجلد[١٦٢]، ونظراً لتمكنه وبراعته تداوى عليه عدد من كبار رجالات الدولة، وخّصهُ العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ /١٢٠٠م)، بالثناء والشكر الجزيل، وأشار أنه سبق وأن تداوى عليه سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م)، عندما كان بصحبة السلطان صلاح الدين في مدينة بعلبك[١٦٣]. أما الطبيب نجم الدين غالب بن مهند بن منصور (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)، فقد خدم صلاح الدين وكان يتردد إلى دوره مع جملة الأطباء، وقد بالغ بإكرامه، فعندما أراد تزويج ابنته تكفل السلطان بدفع مصاريف الزواج التي بلغت نحو ثلاثين ألف درهم، وخدم الطبيب رشيد الدين ابن سعيد بن موفق الدين (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، من مسيحيي القدس عددا من السلاطين الأيوبيين منهم االسلطان الكامل، ومن بعده خدم ابنهُ السلطان الصالح أيوب لمدة تسع سنين، وصنف له كتابا دعاه – عيون الطب– واحتوى على علاجات مختارة[١٦٤].

والى جانب الوظائف الإدارية عمل الأقباط في مجالات اقتصادية مختلفة، كالنشاط الزراعي، حيث إمتهن البعض منهم الزراعة، بينما إختص غالبيتهم بألاشتغال في العمل الحرفي[١٦٥]، وبرعوا فيه حتى نسبت بعض الصناعات إليهم مثل صناعة المنسوجات التي اشتهروا بها في مصر[١٦٦]، في حين اشتغل البعض منهم في صناعة المواد الغذائية ولا سيما صناعة بعض المشروبات كالنبيذ[١٦٧]، وإشتهر القبط من أهل تنيس في صناعة الزيوت، واحتوت المدينة على مائة معصرة للزيت الذي استخدم بعض انواع منه في تتبيل انواع المأكولات أو في إنارة الشوارع أو للإضاءة داخل البيوت ، كما عمل قسم منهم في صناعة الخزف والنقش على الأواني المعدنية[١٦٨].

أما في المجال التجاري فقد كانت مساهمة القبط أقل من نشاطاتهم في المجالات الاخرى، فمارس البعض منهم الصيرفة إلى جانب اليهود وكانت للصيارفة نقابة خاصة بهم في القاهرة[١٦٩].

فضلاً عن القبط فقد ضم المجتمع المصري طوائف أُخرى من المسيحيين كالأرمن، الذين برز وجودهم في العصر الفاطمي، وكانوا يشكلون جالية كبيرة العدد سبق لهم أن قدمّوا الى مصر مع بدر الجمالي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، الوزير الفاطمي الأرمني الأصل حينما طلب منه الخليفة المستنصر القدوم لوضع حد لنفوذ العناصر المتمردة في الجيش من الترك والسودان، الذين استبدوا بالأمور، وكان معظم الفرسان البيض في الجيش الفاطمي من الأرمن، وكانوا محل تقدير ورعاية الفاطميين، فزاد عددهم وقوي أمرهم، وبلغوا نحو ثلاثين ألفاً[١٧٠]، ولاسيما بعد أن تولى بهرام الأرمني– أخو أمير الجيوش بدر الجمالي– الوزارة في عهد الحافظ لدين الله سنة (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)، الذي أكثر من جلب الأرمن الى مصر، وإستخدمهم في وظائف الدولة، فحسنت أحوالهم، وامتلك بعض منهم في قصورهم حاشية وخدماً[١٧١]، كما إشتغل أعداد منهم بالزراعة والتجارة، وجمعوا أموالاً كثيرة، وكان أغلبهم ما يزال في ذلك الوقت على دين المسيحية[١٧٢].

وعندما قامت الدولة الأيوبية أخذ السلطان صلاح الدين يعمل على محو أثار الدولة الفاطمية فأزال الجند من العبيد السود والأرمن، وغيرهم ممن وقفوا ضده وأثاروا لهُ المشاكل في مصر[١٧٣]، واشتهر الأرمن بوجه خاص بموقفهم المتعاطف مع الصليبيين، وسبق للكثيرين منهم في بلاد الشام أن انخرطوا كمقاتلين في صفوف الجيش الصليبي[١٧٤]، مما دعا بالسلطان صلاح الدين إلى اخذ الحيطة والحذر منهم، وأخذ في تكوين جيش خاص قوامه الكرد، والأتراك بشكل خاص[١٧٥]، وكان نتيجة ذلك أن ساءت أحوال الأرمن، وتفرقوا في البلاد، وبخاصة في صعيد مصر[١٧٦].

ثالثاً – اليهود:

مثلت الإسكندرية المركز الرئيسي لتواجد اليهود عندما فتحها عمرو بن العاص، حيث كان يسكنها حوالي أربعين ألف يهودي[١٧٧]، وخلال القرون اللاحقة للفتح الإسلامي أصبحت مصر محطة للكثير من الهجرات اليهودية، وخصوصاً بعد أن تحّسنت أحوالهم، مقارنة مع ما كانوا يعانونهُ في ظل الحكم البيزنطي، حيث كانوا يمثلون أقلية منبوذة[١٧٨].

وعلى الرغم من أننا نجهل العدد الحقيقي لليهود في ذلك العصر، إلا أنه يمكن الاستدلال على وجه التقريب بأنّهم كانوا يشكلون أقلية في المجتمع المصري، وذلك من خلال الأرقام التي أوردها الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م)، عند زيارته مصرفي أثناء وزارة صلاح الدين للخليفة الفاطمي العاضد، حيث سعى إلى إحصاء أعداد اليهود في الكثير من المدن المصرية، فأورد أنّ عددهم في كل من بلبيس[١٧٩]، والإسكندرية ثلاثة الآلف يهودي، وفي القاهرة، والفسطاط ألفا يهودي، وكان من بينهم عدد كبير من الأثرياء، وكبار العلماء، والأطباء[١٨٠]، مما يدل على أنهم شاركوا في الحياة الاجتماعية مشاركة فعّالة، ومارسوا أنشطتها المختلفة بحرية تامة، وقرب دمياط في مدينة الدميرة(، نحو سبعمائة يهودي، وفي مدينة المحلة خمسمائة، وقرب نهر النيل في قرية حلوان، وقوص نحو ثلاثمائة يهودي، في حين بلغ عددهم في كل من بليدة أبو تيج، وقرية بنها، ودمياط، وبلدة سمناط، والفيوم مائتين[١٨١].

وقد شكّل اليهود جاليات صغيرة في المدن التي سكنوها، وكانت لهم حاراتهم الخاصة بهم، وتواجد عدد كبير منهم بالقاهرة في زقاق اليهود، وفيها إحدى كنائسهم[١٨٢]، كما تّركز وجودهم بالحارة الجودرية نسبة إلى طائفة الجودرية إحدى طوائف العسكر في عهد الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦- ١٠٢٠م)، ولمّا سمع الأخير أنهم يستهزؤون من المسلمين ومن دينهم ((أتى إلى أبوابها وسّدها عليهم ليلاً وأحرقها))[١٨٣]. عندها انتقل اليهود للسكن في حارة زويلة، وأمرهم الحاكم بعدم مخالطة المسلمين، كما كانت لهم بالفسطاط أيضاً حارة خاصة بهم تعرف بحارة اليهود بخط قصر الشمع، وبها كنيستان وسويقة ودار رئيسهم[١٨٤].

وقد سكن بعضهم إلى جانب المسلمين في أحياء مشتركة، ولا سيما بعد قيام الدولة الأيوبية، فقد أباح السلطان صلاح الدين القاهرة لسكنى العامة، فانتقل إليها كثير من اليهود للسكن والاستقرار بها، وكان من بين الذين انتقلوا للسكن فيها مجموعة من الأغنياء والعلماء، لذا فقد امتلكوا البيوت والعقارات فيها[١٨٥]، كما نزل عدد من اليهود بمحلة المصيصة بالفسطاط التي كان غالبية سكانها من أغنياء المسلمين، ومنهم الطبيب والفيلسوف أبو عمران موسى بن ميمون الأندلسي (ت ٦٠٥هـ/١٢٠٨م)، وهو من عائلة يهودية ولد بقرطبة، وبها نشأ وقرا الكثير من العلوم الفلسفية والرياضية والطب، ثمّ خرج مع أهله قاصداً المشرق، ونزل بالفسطاط بين يهودها، ودخل في خدمة السلطان صلاح الدين، ومن بعده ابنه الملك الأفضل وكان رئيس الطائفة اليهودية بمصر[١٨٦].

ومن الجدير بالذكر أنّ اليهود في العصر الأيوبي تمتعوا الى حد كبير بحرياتهم الدينية والاجتماعية، واندمجت غالبيتهم في المجتمع المصري، ومارسوا عاداته وتقاليده الدينية بشكل طبيعي فلم يتعرض الايوبيون لكنسهم وبيعهم التي ظلت عامرة طوال العصر الأيوبي[١٨٧]، وتكلموا باللغة العربية لغة عامة المصريين[١٨٨]، وكانت لهم حرية تنظيم وإدارة شؤونهم الداخلية الخاصة بالكيفية التي تلائمهم، فكانت لهم محاكمهم الخاصة التي يحتكمون إليها[١٨٩]، كما سمحوا لهم باختيار رئيس بمحض إرادتهم[١٩٠]، وكان رئيس الطائفة اليهودية مسئولا أمام السلطة الأيوبية عن كافة تصرفات أفراد طائفته في المجتمع، كما كان مسئولاً عن جمع الأموال التي كانت الحكومة تطلبها منهم من ناحية أخرى[١٩١].

وأتاح الأيوبيون لليهود الفرص لإبراز طاقاتهم، فلم ينظروا إليهم نظرة استصغار واحتقار، ولم يعاملوهم ك: جالية أجنبية أو أقلية منبوذة، لذلك برزت مشاركتهم في الكثير من الأحداث، وكانت لهم مساهمات فاعلة في النشاطات الاقتصادية، والثقافية والاجتماعية طوال العصر الأيوبي، فعلى

الصعيد الاقتصادي، والمهني لليهود ذكرت المصادر أنهم مارسوا مهناً مختلفة، فقد أشار الرحالة ابن سعيد (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، الذي زار مصر ما نّصه ((... أكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى في كتابة الخراج، والطب، والنصارى بها يمتازون بالزنار في أوساطهم ، واليهود بعلامة صفراء في عمائمهم، ويركبون البغال، ويلبسون الملابس الجليلة))[١٩٢].

وكان الطب أحد المجالات التي برع فيها اليهود إلى جانب المسيحيين، وبرز من بينهم عدد من مشاهير الأطباء ممن طبقت شهرتهم الآفاق، وتمتعوا بسببهِ بمنزلة اجتماعية كبيرة، وتلقوا جميع مظاهرالاحترام، وتقّلد بعضهم رئاسة الأطباء في مصر، كما خدم بعضهم في بلاط الأيوبيين كالطبيب موسى بن ميمون الذي كان الطبيب الخاص للسلطان صلاح الدين، أما ابنه أبوالمنى إبراهيم (ت٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)، فقد كان طبيباً مشهوراً دخل في خدمة السلطان الكامل بالقاهرة،وكما اشتهر الموفق بن شرعة (ت ٥٧٩هـ/١١٨٣م)، بكونه من كبار أطباء اليهود بمصرحيث كان له معرفة بالطب الباطني، وطب العيون–الكحالة– فضلاً عن الجراحة، خدم السلطان صلاح الدين وبرزت مكانته عنده[١٩٣].

وكان لليهود نصيب وافر في الأنشطة الاقتصادية الأخرى، وفي مقدمتها التجارة، وأعمال الصيرفة، وتركّز نشاطهم في بعض المدن، مثل: ثغر الإسكندرية الذي كان مركزاً للتجارة الخارجية، وتواجد فيه الكثير من التجار من مختلف الدول، ولا سيما الأوربية[١٩٤]، وعمل بعضهم مثل الطبيب موسى بن ميمون القرطبي بتجارة التحف الثمينة، والجواهر، وكان له محل لبيع المجوهرات بالفسطاط[١٩٥]، في حين عمل آخرون في مجال الصيرفة، وكان في القاهرة سوق للصيارفة تعود إلى زمن الفاطميين، ثمّ تحوال اسمه إلى باب الزهومة[١٩٦]. وعمل آخرون منهم في صناعة المواد الغذائية كالزيوت، والعسل، والفواكه المجففة، والحلويات، كما كان اليهود يصنعون الكعك والمسلمون يشترون منهم بمناسبة عيد الفطر[١٩٧].

رابعاً – عناصر أخرى :

فضلاً عّما سبق ذكره فقد استقر بالحواضر المصرية الآف من التجارالأجانب، ولا سيما في مدينة الإسكندرية التي اصبحت خلال العصر الأيوبي سوقاً هامة للتجارة العالمية، وإليها كانت تتدفق معظم منتجات الشرق من: طيب وبواقيت وعطور وتوابل وغير ذلك من انواع التجارة الشرقية، ويرجع ذلك دون شك الى عناية الأيوبيين بثغر الإسكندرية، وحرصهم على تحقيق الأمن، وحرية التنقل للتجار الوافدين إلى مصر، وقد نتج عن الإزدهار التجاري في ذلك العصر أن كثر عدد التّجار االصليبيين في ثغر الإسكندرية، فقد إجتمع منهم نحو ثلاثة ألآف في سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م في عهد السلطان العادل[١٩٨].

أهم الاستنتاجات

- عرفت مصر بتنوعها الأثني ،حيث إلتقت على أرضها أجناس عديدة ، عاشت مع بعضها البعض ،وإرتبطت بروابط متنوعة ونشأت بينها علاقات إجتماعية ،وقد ساعد على ذلك توفر عوامل عديدة لعّل في مُقدمتها : موقع مصر، وغناها ،كما أنّ إنتشار الإسلام في وقت مبكر ساهم في إستقطاب الكثير من المسلمين من مُختلف قومياتهم ليستقر بهم المقام بمصر .
- يمكن القول أن التغييرات السياسية التي شهدتها مصر بعد سقوط الدولة الفاطمية قد أثرّت على التركيبة السكانية فيها ، أذ شهدت مصر حراكاً إجتماعياً بين طبقات المجتمع والعناصر المكونة له ، فقد تراجع نفوذ بعض العناصر التي كانت تُمثل قمة الهرم الطبقي للمجتمع ، وحّل محلها عناصر أُخرى مما يؤكد حدوث تغييرات جذرية وجوهرية في التركيبة الاثنية للمجتمع.
- كان لتلك التغييرات السياسية أثر بارز في بروز الكرد الذين استطاعوا أن يتبؤا مكانة متميزة في الهيكل الإداري والسياسي والإقتصادي ،وقد إنتشر الكرد في أغلب الحواضر المصرية ،ولم يقتصر دورهم في المجالين السياسي

والعسكري ، بل تعداها الى مُختلف الأنشطة والفعاليات الأخرى .

- شّكل أهل الذّمة من المسيحيين واليهود شريحة مُهمة من شرائح المجتمع المصري ، وكان لهم مشاركاتهم الفاعلة في الحياة العامة ، كما شغلوا مراكز متقدمة في الجهاز الإداري للدولة الأيوبية وذلك بفضل الدعم والرعاية التي حضوا بها من قبل السلطة ، فضلاً عن تمتعهم بقسط وافر من الحرية الدينية في ظل سياسة التسامح التي أشاعها الأيوبيون ،وبرز أهل الذمة في مجالات عديدة منها الطب ،كما برز اليهود في الاعمال التجارية والصيرفية .
- على الرغم من أن الحروب الصليبية قد ألقت بظلالها على مجمل الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية للمنطقة إلاّ أنّ التاثيرات السلبية لتلك الحروب على مصر كانت أقل بالمقارنة مع بلاد الشام ، لا سيما فيما يتعلق بالبنية الإجتماعية التي بقيت محافظة على تماسكها.

هوامش البحث ومصادره

(١) سفرنامة (الرياض:١٩٨٣)، ص١٠٠؛ للمزيد عن تلك القوميات الاخرى ينظر: أبي صلت الأندلسي، الرسالة المصرية في نوادر المخطوطات(القاهرة:١٩٧٤)، ص ٢٣؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية (القاهرة:١٩٩٨)،١٤٦/١.

(٢) سيدة اسماعيل كاشف، موسوعة تاريخ مصرعبر العصور(القاهرة: ١٩٩٣)، ص٢١.

(٣) محمود السيد، تاريخ القبائل العربية في مصر في عصر الدولتين الايوبية والمملوكية(الاسكندرية:١٩٩٨)، ص ص ٢- ٤.

(٤) بلي: من عرب الجنوب، وينسبون إلى بلي بن عمر بن الحاف بن قضاعة من القبائل القحطانية، سكنوا الصعيد، وكان منهم الأمراء. القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٦٧/١؛ المقريزي،رسائل المقريزي(القاهرة:٢٠٠٦)،ص ص١٣٥- ١٣٦.

(٥) جذام: أول من سكنوا مصر من العرب واستقروا ما بين القاهرة وهضبة إيلة وكانت الامرة فيهم خلال العصر الأيوبي لخمسة بيوت. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى،٣٨٤/١؛ ٧١/٤؛ المقريزي، رسائل، ص١٣٠- ١٣٣.

(٦) لخم: وهم لخم من عدي بن حارث بن مرة بن زيد بن يعرب بن قحطان. القلقشندي، صبح الاعشى،٣٨٧/١؛ المقريزي، رسائل، ص ١٤٩.

(٧) المقريزي، الخطط، ٥٣٤/١.

(٨) جهينة: هم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن لحاف بن قضاعة من القحطانية وانتشروا في مدينة اخميم. القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٦٨/١؛ المقريزي، رسائل، ص١٣٦.

(٩) بنوهلال: هم بنو هلال بن عامر بن قيس عيلان من العدنانية توزعوا في منطقة الصعيد كلها الى عيذاب. القلقشندي، صبح الاعشى،٣٩٥/١؛ المقريزي، رسائل، ص ص ١٣٤- ١٣٥.

(١٠) بنوكنز: هم من ربيعة من نزار بن سعيد بن عدنان. المقريزي، رسائل، ص ص١٤٢- ١٤٣.

(١١) الجعافرة: نسبة إلى جعفر بن أبي طالب. المقريزي، الخطط، ١/ ٦٦٥ ؛ رسائل، ص١٣٧.

(١٢) الطليحييون: نسبة الى طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق (رض)، سكنوا بالأشمونيين. المقريزي، رسائل، ص١٣٧؛ السيد؛ تاريخ القبائل العربية، ص ٣٧.

(١٣) القرشييون: ويتالفون من بني زهرة وبني مخزوم، وبني امية، وبني بدر، وكانت منازلهم بالأشمونيين. ابوشامة، الروضتين، ٢/ ٦٤.

(١٤) ابوشامة، الروضتين، ٢/ ٦٦؛ المقريزي، الخطط،٤٩٢/١.

(١٥) المقريزي، رسائل، ص ١٣٣ ؛ طرخان، النظم الإقطاعية ، ص٤١؛ محمد فتحي الشاعر، الشرقية في عصري سلاطين الايوبيين والمماليك (د/م:١٩٩٧)، ص ص٦١، ١٠٨- ١٠٩؛ ربيع، النظم المالية،ص ٢٩.

(١٦) ينظر: السلوك، ١/ ١٥٢؛ والبحيرة : كورة معروفة من نواحي الإسكندرية . ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،٣٥١/١.

(١٧) قبائل ثعلبة: ينتسبون إلى ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمروبن الغوث بن طي من العرب القحطانية. المقريزي، رسائل، ص ١٣٣.

(١٨) الدواداري،كنز الدرر، ٦٩/٧.

(١٩) ابن اياس، بدائع الزهور، ١/ ٨٦؛ نزهة الامم، ص١٣٤.

(٢٠) ينظر: الكامل، ٢٤٧٩/٢.

(٢١) المقريزي، السلوك، ٣٢٠/١ ؛ الخطط، ١/ ٦٠٣.

(٢٢) المقريزي، الخطط، ٤٧٠/٣؛ ابن إياس، نزهة الامم، ص٢٠٩.

(٢٣) اليافعي، مرآة الجنان، ٩٠/٤؛ ابن دقماق، نزهة الأنام، ص٢١٠؛ المقريزي، الخطط، ١/ ٦١٣؛ السلوك، ٤٣٩/١.

(٢٤) ابوشامة، الروضتين، ٣٠٥/٢ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى،٣٨٦/١.

(٢٥) المقريزي، السلوك، ٣٨١/١؛ السيد، تاريخ القبائل، ص٢١٨.

(٢٦) ابن الاثير، الكامل، ٢٤٨٤/٢؛ ابوشامة، الروضتين، ١١٨/٢.

(٢٧) النويري، نهاية الارب، ٥٨/٢٩.

(٢٨) المقريزي، السلوك، ٢٦٥/١، ٣١٤؛ الشاعر، الشرقية، ص٦١.

(٢٩) المقريزي،رسائل،ص١٥٢؛ شلبي ابراهيم الجعيدي،طبقة العامةفي مصرخلال العصرالايوبي(القاهرة: ٢٠٠٣)،ص٩٨.

(٣٠) السيد، تاريخ القبائل ، ص٤.

(٣١) للمزيد ينظر: الجعيدي، طبقة العامة، ص٩٨؛ السيد، تاريخ القبائل، ص٢٢٥.

[٣٢] المقريزي، الخطط، ٣/ ٢٤٥، ٢٤٩؛ قادرمحمد حسن، اسهامات الكرد في الحضارة الاسلامية في مصر وبلاد الشام في عهد المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠- ١٣٨٣م)، دراسة حضارية (أربيل:٢٠٠٩)، ص٥٠.

[٣٣] الزرزارية : إحدى القبائل الكُردية التي استقرت في بلاد اربل، و في المنطقة الممتدة من خفتيان-رواندوزالى اشنوية-شنو وسلاسل جبال مرت وجنجرين (كيلة شين) وتعد ثاني قبيلة بعد الهذبانية في تلك البلاد. للمزيد ينظر: ابوشامة، الروضتين في اخبار الولتين النورية والصلاحية(بيروت:٢٠٠٢)، ٤/ ١٣٢؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الابصارفي ممالك الامصار(بيروت:١٩٩٨)، ٢٦٧/٣؛ زرار صديق توفيق، القبائل والزعامات الكردية في العصر الوسيط(اربيل:٢٠٠٧)، ص ١٠١.

[٣٤] ابن منقذ، الأعتبار(بيروت: ٢٠٠٣)، ص ص ٥٨- ٥٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان(بيروت:١٩٧٧)، ٣ /٤١٦_٤١٨؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب(بيروت:٢٠٠٤)، ٢٠٦/٢٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (بيروت:١٩٩٨)، ٨٢/٥-٨٣.

[٣٥] المقريزي، الخطط، ٤٦٥/٢.

[٣٦] القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا(بيروت:١٩٨٧)، ٥٥٣/٣؛ محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين(اربيل:٢٠٠٣)، ص ص ٥٤- ٥٥.

[٣٧] ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ٢٦١/٣؛ محمود محمد الحويري، الاوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين ١٢ و١٣م عصر الحروب الصليبية (القاهرة:١٩٧٩)، ص٢٩.

[٣٨] ينظر: السلوك لمعرفة دول الملوك(بيروت:١٩٩٧)،١٥٠/١.

[٣٩] المصدر نفسه،١٠٠/٢؛ طرخان، النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى(القاهرة:١٩٦٨)، ص ص٣٦-٣٧.

[٤٠] ابوشامة، الروضتين، ١٠٠/٢؛ المقريزي، الخطط، ٤٤٦/٢؛ هاملتون جب، دراسات في حضارة الاسلام(بيروت:١٩٧٤)، ص٩٨.

[٤١] ابوشامة، الروضتين، ١٢٠/٢؛ طرخان، النظم الاقطاعية، ص٣٧.

[٤٢] الفيوم: ولاية غربية، بينها وبين الفسطاط أربعة أيام. ياقوت الحموي، معجم البلدان(بيروت:٢٠٠٧)، ٢٨٦/٤.

[٤٣] ابو شامة، الروضتين،١٧٠/٤؛ طرخان، النظم الاقطاعية، ص٣٧.

[٤٤] ابوشامة، الروضتين، ٧٥/٢؛ ابن إياس، نزهة الامم في العجائب والحكم(القاهرة:١٩٩٥)، ص١٣٤.

[٤٥] جب، دراسات في حضارة الاسلام، ص٧٩؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص ٦٢.

[٤٦] المقريزي، الخطط، ٢٧٢/١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ٨٦/١.

[٤٧] ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات(البصرة:١٩٦٤)، مج٤، ١١٣/٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة(القاهرة:د/ت)، ١٤٥/٦؛ إلياس أحمدكريم، الدور السياسي والحضاري للهذبانيين في الدولة الايوبية في مصر وبلاد الشام(٥٦٩-٦٥٨هـ/١١٧٣-١٢٦٠م) رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الاداب في جامعة صلاح الدين(أربيل:٢٠٠٨)، ص ٤٦؛ والقبيلة الهذبانية: قبيلة كُردية كبيرة وعريقة، وكان موطنها في إقليمي الجزيرة والموصل ،كما استقر بعضهم في مناطق أذربيجان. للمزيد ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ(بيروت:٢٠٠٧)، ١٥٥١/٢؛ كريم، الدور السياسي والحضاري، ص ص ١٤-١٩.

[٤٨] الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي(د/م:٢٠٠٧)، ص١٧٨؛ المنذري، التكملة لوفيات النقلة (بيروت:١٩٨٨)، ٣/ ٣٦٥، ٥٣٠.

[٤٩] المنذري، التكملة، ٣/ ٢٩١- ٢٩٢.

[٥٠] المصدر نفسه، ٤٠/٣.

[٥١] المنذري، التكملة، ٣/ ٣٨٢.

[٥٢] المصدر نفسه، ٣/ ٥١٨.

[٥٣] ينظر: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك(بيروت:١٩٩٧)، ٢٥٣/١.

[٥٤] ابن خلكان، وفيات الأعيان،١٨٠/١_١٨١؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج٤، ٢/ ٩٨؛ طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٤٠.

[٥٥] ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب(القاهرة:١٩٧٧)، ١٦٤/٥- ١٦٦.

[٥٦] وموطنها الاصلي بالمروج تحت الموصل(منطقة بردرش الحالية). ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٤٣/٣.

[٥٧] المصدر نفسه، ٢/ ٣٨١.

[٥٨] المقريزي، الخطط، ٢١٨/٣؛ السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة(بيروت:٢٠٠٤)، ١٩٦/٢.

[٥٩] المنذري، التكملة، ٣/ ١٩١.

[٦٠] ديوان الأحباس: وهو من الدواوين المهمة في الدولة ويسمى صاحبها بناظر الأحباس الذي يتولى رعاية شؤون المؤسسات الدينية والخيرية من جوامع ومساجد وربط وزوايا ومدارس.ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى ٤/ ٣٩.

[٦١] المنذري، التكملة، ٢/ ١٥٦.

[٦٢] المصدر نفسه، ٣/ ٦٢٠.

[٦٣] وكانت تعرف قبل ذلك بحارة الوزيرية. المقريزي، الخطط، ٣٩٥/٢.

[٦٤] ابن عبد الظاهر، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة (بيروت:١٩٩٦)، ص٥٧؛ المقريزي، الخطط، ٤٤٦/٢

[٦٥] المقريزي، الخطط، ٣٦٧/٢.

[٦٦] اليونيني، ذيل مرآة الزمان(حيدر اباد الدكن-الهند:١٩٥٤)، ٨٣/٢؛ كريم، الدور السياسي والحضاري، ص ١٥٨.

[٦٧] الروادية: كما وردت بصيغ اخرى مثل: (راوندي) أو (روندي)، بطن من الهذبانية، وكانت في الاصل من القبائل الرحالة المتنقلة الممتدة بين مشاتيها في سهل أربيل، ومنطقة ما بين الزابين، ومصائفها في جبال أذربيجان الغربية وأرمينيا. للمزيد ينظر:ابن حوقل، صورة الأرض (بيروت:١٩٧٩)، ص ص٢٠٥، ٢٨٩؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٣٩/٧-١٤١.

[٦٨] اليافعي، مراة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان(بيروت:١٩٩٧)، ٨٩/٤؛ محمود مصطفى، الأدب العربي في مصر من الفتح الأسلامي الى نهاية العصر الأيوبي (القاهرة:١٩٦٧)، ص ص ٣٢٥- ٣٢٦.

[٦٩] الأصفهاني، الفتح القسي، ص ١٧٨؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)(حلب:٢٠٠١)، ص ١٨٠، ٢٥٢ البنداري، سنا البرق الشامي(بيروت:١٩٧١)، ق١، ص٢٠٣.

(٧٠) اليونيني، ذيل مرآة، ٣٣٢/٢؛ الكتبي، عيون التواريخ(بغداد:١٩٨٠)،٢٠/ ٣٢٩-٣٣٠؛ شوكت عارف محمد ولولاف سليم مصطفى، بدرالدين يوسف السنجار (٥٧٨-٦٦٣هـ/ ١١٨٢-١٢٦٤م)، دراسة في دوره السياسي والقضائي، بحث في مجلة جامعة دهوك، مج (١٢)، عدد (١)، سنة (٢٠٠٩)، ص ٢٦٤.

(٧١) للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ٣٧٤/٤؛ توفيق، القبائل والزعامات، ص ص٢٠- ٢٢.

(٧٢) الكيكانية: من القبائل الكردية القديمة ببلاد الموصل، ومعروفة منذ العصر العباسي. ينظر: المسعودي، التنبيه والاشراف (بيروت:١٩٦٥)، ص٨٩؛ فرهاد حاجي عبوش، الكُردفي مؤلفات المقريزي التاريخية(أربيل:٢٠١٠)، ص ١٩٩.

(٧٣) تاريخ الفيوم وبلاده(بيروت:١٩٧٤)، ص ١٤٩.

(٧٤) الحميدية: إحدى القبائل التي سكنت شرقي الموصل، وكانت قلعة العقرة والشوش من قلاعهم الرئيسية .للمزيد ينظر: ابوشامة، الروضتين، ١٣٢/٤؛ عبوش، الكُرد، ص١٩٥.

(٧٥) ينظر: الفتح القسي، ص ١٧٨،٦٥؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص١٢٨، ١٨٠، ٢١٩، ٣٢٣، ٢٦٢ ؛ ابوشامة، الروضتين، ١٣٢/٤.

(٧٦) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج٤، ٩٨/٢_ ٩٩.

(٧٧) المقريزي، السلوك، ٣٣٣/١.

(٧٨) الأصفهاني، الفتح القسي، ص ١٩١؛ المنذري، التكملة، ١/ ١٢٣.

(٧٩) شاع إستخدام الرقيق التركي في البيوت الإسلامية منذ أواخر القرن(١هـ/٧م)، نظراً لتحليهم بالقوة البدنية والشجاعة، وإخلاصهم لساداتهم. القلقشندي، صبح الأعشى، ٤/ ٤٥٥-٤٥٦.

(٨٠) ناصرخسرو، سفرنامة، ص٩٩.

(٨١) القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/٤.

(٨٢) ينظر: الكامل، ٢٤٤/٢.

(٨٣) رحلة ابن جبير(بيروت:٢٠٠٣)، ص٥٠، منى محمد بدر بهجت، أثرالحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الاسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر (القاهرة: ٢٠٠٢)، ١/ ٩٥.

(٨٤) ينظر: النجوم الزاهرة، ٣٥٤/٥.

(٨٥) المقريزي، الخطط، ٢٧٢/١؛ ابن اياس، بدائع الزهور،٨٧/١.

(٨٦) الدواداري، كنز الدرر، ٧٨/٧.

(٨٧) ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور(القاهرة:٢٠٠٥)، ١/ ٢٤٤؛ بهجت، أثر الحضارة،٩٧/١.

(٨٨) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي (النجف:١٩٦٩)، ٢٦٠/٢؛ المقريزي، السلوك،٤٠٥/١؛ الخطط، ٨٥/٣.

(٨٩) المقريزي، السلوك،٤٤١/١. ويرى اخرون أنهم سّموا بالبحرية، لأنهم كانوا يُجلبون من وراء البحار ويتم نقلهم عن طريق البحر. للمزيد ينظر: عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام (القاهرة: ١٩٧٦)، ص٥.

(٩٠) المقريزي، السلوك،٤٤٣/١.

(٩١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣١٩/٦، ٣٣٦؛ زاهدة محمد طه المزوري، الصراع على السلطة في العصر المملوكي الاول في مصر وبلاد الشام ، رسالة ماجستيرة غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الاداب في جامعة الموصل(الموصل:٢٠٠١)، ص ص ١٤ - ١٥.

(٩٢) وينضوي تحت اسم السودان : الزنوج، والعبيد، وكان الكتاب المسلمون أول من أطلقوا عليهم اسم السودان بعد أن إستوحوا لون بشرة القوم، وعلى بلادهم بلاد السودان، وهي بلاد واسعة ممتدة من البحر الأحمر في الشرق الى المحيط الأطلسي في الغرب، ومن الشمال الصحراء الكبرى، ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء، وقد قسَّمها الدارسون الى ثلاثة أقسام: السودان الغربي، والأوسط، والشرقي.للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ٢٦٣/٥، يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان(الخرطوم:١٩٧٥)، ٢٠/١.

(٩٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ٤٦٧/٣.

(٩٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ١٧٦/١هامش رقم ٢؛ المقريزي، الخطط، ٣٧٢/٢.

(٩٥) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ٣١٤/٣؛ الجعيدي، طبقة العامة، ص٩٧.

(٩٦) ناصرخسرو، سفرنامة، ص ٩٢.

(٩٧) مفرج الكروب، ٢٧/٢.

(٩٨) ابوشامة، الروضتين، ٢٣٥/٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٦/٢؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص٥٥.

(٩٩) الوزان، وصف أفريقيا(الرباط:١٩٨٢)، ٢٩/١، شوكت عارف محمد الاتروشي، طبيعة العلاقات بين دولة كانم الاسلامية ومصر خلال العصر المملوكي، مجلة المنارة، مج(٦)، عدد(١)، جامعة آل البيت (عمان: ٢٠٠٠)، ص ص٧٥-٧٦.

(١٠٠) محمد أمين، علاقات مالي وسنغاي بمصر في عصر سلاطين المماليك،مجلة الدراسات الأفريقية، عدد(٤)، سنة (١٩٧٥)، ص٢٩٢.

(١٠١) المقريزي، رسائل،ص١٤٤؛ ماهرأحمد مصطفى، صعيد مصر في عهد المماليك الجراكسة (القاهرة:٢٠٠٤)،ص٥٠.

(١٠٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ٤٠٢/٣- ٤٠٣؛ المقريزي، الخطط، ٣٧٥/٢ .

(١٠٣) وصنهاجة: هم بنوصنهاجة بن بربر، وقيل صنهاج بن اوريغ من عرب اليمن. القلقشندي، صبح الاعشى،٤١٧/١.

(١٠٤) حسين، الجيش الأيوبي، ص٤٨.

(١٠٥) مصطفى، صعيد مصر، ص٢٠٠.

(١٠٦) هوارة: هم بنو هوارة بن اويغ بن برنس بن بربر وهم ايضاًمن عرب اليمن. القلقشندي، صبح الاعشى،٤١٧/١.

(١٠٧) المقريزي، رسائل، ص ١٤٨؛ مصطفى، صعيد مصر، ص٢٠٠.

(١٠٨) حسين، الجيش الأيوبي، ص٦٥.

(١٠٩) ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص٣٠؛ جاستون فييت، القاهرة مدينة الفن والتجارة (بيروت:١٩٦٨)، ص ٨٨.

(١١٠) ينظر: رحلة ابن جبير، ص٣٤.

(١١١) المصدر نفسه، ص ص ٣٣_ ٣٤.

(١١٢) ينظر: النجوم الزاهرة، ص٣٠.

(١١٣) الجعيدي، طبقة العامة، ص٩٦.

(١١٤) ينسب الأقباط الى قبطم بن مصرايم بن حام أحد أحفاد نوح عليه السلام وتشير المصادر الى أن مصر سميت باسم (مصرايم بن حام).ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ١٣٧/٥؛ المقريزي، تاريخ الأقباط المعروف بالقول الاكريزي للعلامة المقريزي (القاهرة: ١٩٩٥)، ص١٣.

(١١٥) المقريزي، تاريخ الاقباط، ص١٤؛ فاطمة مصطفى عامر، تاريخ أهل الذمة في مصرالاسلامية من الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الفاطمي (القاهرة:١٩٩٩)، ١٨١/٢.

(١١٦) ينظر: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (القاهرة:١٩٩١)، ص٢٠٢.

(١١٧) للمزيد ينظر: المقريزي، الخطط، ٧٦٥/٣.

(١١٨) المقريزي، تاريخ الأقباط، ص٥٤؛ الخطط,٧٦٥/٣.

(١١٩) أسيوط : مدينة غربي النيل ؛ اما درنكة: من قرى الصعيد فوق أسيوط. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ١/ ١٩٣؛١٢٥.

(١٢٠) المصدر نفسه، ٦٦٨/٢؛ وتعرف منية الامراء باسم (منية الشيرج) ايضاً وهي بلدة كبيرة طويلة ذات أسواق بينها وبين القاهرة فرسخ او أكثر قليلاً على طريق القاصد إلى الاسكندرية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٢١٨.

(١٢١) الشروط العمرية : عبارة عن مجموعة من الظوابط والشروط التي تخص أهل الذمة، منها: مايتعلق بمسألة دفع الجزية، وما يتعلق بالمظهر العام وسميت ب:(الشروط العمرية) لانتسابها للخليفة عمر بن الخطاب. للمزيد ينظر: المقريزي، تاريخ الأقباط، ص ص ٣٤-٣٦؛ ترتون، اهل الذمة في الاسلام (القاهرة: ١٩٩٤)، ص ص ١-١١؛ حبيب زيات، سمات اهل الكتاب في المصنفات العربية (بيروت: ١٩٩٢)، ص ص٧-١٥.

(١٢٢) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ١٥٣/١؛ ترتون، اهل الذمة، ص ص ١٣٤- ١٣٥؛ سلام شافعي محمود، اهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والعصرالأيوبي (٤٦٧-٦٤٨هـ/١٠٧٤-١٢٥٠م)، (القاهرة:١٩٨٢)، ص ٢١٦.

(١٢٣) الغيار: عبارة عن حزام او خيط غليظ يشده الذمي في خصره ، اما الزنار: عبارة عن حزام او خيط غليظ يشده الذمي في خصره.زيات، سمات اهل الكتاب،ص ص ٣٩،٦٩.

(١٢٤) المقريزي، السلوك،١٨٨/١؛ ترتون، أهل الذمة، ص ص١٣٤- ١٣٥؛ عامر، اهل الذمة، ٢/ ٧٧.

(١٢٥) المحتسب: من أهم موظفي الحسبة يتولى مهمة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ولهُ نوابٌ في القاهرة وجميع الاقاليم وكان المحتسب يتمتع بصلاحيات كبيرة في خلع اصحاب الوظائف المهمة في الدولة اذا ما عملوا في تفضيل مصالحهم على المصلحة العامة. القلقشندي، صبح الأعشى ، ٥٥٨/٣-٥٥٩.

(١٢٦) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة (القاهرة:١٩٤٦)، ص ١٢٤.

(١٢٧) شوكت عارف محمد الأتروشي، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الايوبي(عمان:٢٠٠٧)، ص٦٩.

(١٢٨) ابن الاثير، الكامل ، ٢٤٧٩/٢، المقريزي، الخطط، ٦٠٠/١ - ٦٠١.

(١٢٩) الدواداري، كنز الدرروجامع الغرر(القاهرة:١٩٧٢)، ٧/ ٣٩- ٤٠.

(١٣٠) يعقوب نخلة روفيلة، تاريخ الأمة القبطية (القاهرة: ٢٠٠٠)، ص ١٧٤.

(١٣١) المقريزي، الخطط، ١/ ٦٥٠.

(١٣٢) المقريزي، السلوك،١/ ٢٤٧؛ زيات، سمات أهل الكتاب، ص ص ٧٢-٧٣.

(١٣٣) ينظر: الإفادة والاعتباربفي الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر(بغداد:١٩٨٧)، ص٤٠.

(١٣٤) ابن الاثير، الكامل، ٢٤٩٨/٢؛ روفيلة، تاريخ الامة القبطية، ص١٥٨؛ جاك تاجر، أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢ (القاهرة: ١٩٥١)، ص١٦٣.

(١٣٥) ينظر: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلي المغرب (القاهرة: ١٩٧٠) ، ص٢٨.

(١٣٦) ضريبة الجوالي: وهي الجزية المالية المفروضة على أهل الذمة الاقباط واليهود مقابل بقائهم تحت ذمة المسلمين . القلقشندي، صبح الاعشى،٥٣٠/٣؛ حسان حلاق وعباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الايوبية والمملوكية والعثمانية ذات الاصول العربية والفارسية والتركية (بيروت:٢٠٠٩)، ص٧١؛ زيات، سمات اهل الكتاب، ص ص ٩٦-٩٧.

(١٣٧) كل ١٠ دراهم= ٧ دينارصبحي الصالح، النظم الاسلامية نشأتها وتطورها(طهران:١٤١٧)، ص ٤٢٦.

(١٣٨) ابن مماتي، قوانين الدواوين(القاهرة:١٩٩١)، ص ٣١٨- ٣١٩؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٥٣٠/٣؛ حسنين محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الايوبيين(القاهرة:١٩٦٤)، ص٤٥.

(١٣٩) النابلسي، تاريخ الفيوم وبلاده (بيروت:١٩٧٤)، ص٢٤؛ ربيع، النظم المالية، ص٤٦.

(١٤٠) النابلسي، تاريخ الفيوم، ص٢٤؛ المقريزي، الخطط،٣٠٨/١،٣٠٣.

(١٤١) مراكشي، الإستبصار في عجائب الامصار (بغداد : د/ت) ، ص٩١.

(١٤٢) ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص٢٨؛ محمود، اهل الذمة، ص٢٠٠.

(١٤٣) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الاطباء(بيروت:د/ت)، ص٥٨٩. للمزيد ينظر: شوكت عارف محمد الأتروشي، دور المسيحيين العلمي في العصر الأيوبي، مجلة هيزل، زاخو،عدد(١٠)، سنة (٢٠٠٩)، ص ص١١٤- ١٢٢.

(١٤٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٥٨٩-٥٩١؛ الخزنداري، تاريخ مجموع النوادرمما جرى للاوائل والاواخر(بيروت:٢٠٠٥)، ص ١١١؛ الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها (بيروت: ١٩٧٤)، ٢٤٩/٤؛ المقريزي، الخطط، ٥٢٣/٣ .

(١٤٥) الخطط، ٨٠٠/٣؛ تاريخ الاقباط، ص٦٠.

(١٤٦) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء (بيروت:١٩٨٠)، ٦/ ١٠٩.

(١٤٧) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٠؛ ربيع، النظم المالية، ص٨١.

(١٤٨) ديوان الجيش: مهمة هذا الديوان تثبيت اسماء الجند وما لهم من الخيول والاقطاعات ومتابعة احوال الجند من الحياة والموت والغيبة والحضور. القلقشندي، صبح الاعشى، ٣/ ٥٦٥؛ المقريزي، الخطط، ١٤٦/٢.

(١٤٩) ديوان المال: يعد من أهم الدواوين، ويشرف على جميع أموال الدولة، وجرت العادة أن يُعين فيها موظف من أكابر الدولة يمتاز بحسن الإدارة عالماً

بشرائع الإسلام، ليّفرق بين الحلال والحرام وذا معرفة في كيفية إدارة ديوان الخراج. المقريزي، الخطط، ٣/٩٣.

(١٥٠) ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص ٢٦٨؛ ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الامصار(بيروت:د/ت)، ص٥٥.

(١٥١) ابن العميد، أخبارالأيوبيين، ص٩.

(١٥٢) ابن مماتي، قوانيين الدواوين، ص٢٥٤؛ المقريزي، الخطط، ١/ ٢٤٨.

(١٥٣) عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (القاهرة: ١٩٩٢)، ص٥٦.

(١٥٤) روفيلة، تاريخ الأمة القبطية، ص١٨٤.

(١٥٥) ابن العميد، اخبارالأيوبيين، ص٩؛ المقريزي، السلوك، ١/ ٣١١.

(١٥٦) المقريزي، الخطط،٣/٤٤٢؛ ربيع،النظم المالية،ص ٨٢؛ وعن المدرسة الفائزية ينظر:الأتروشي،الحياة الفكرية،ص٣٤٤.

(١٥٧) روفيلة، تاريخ الأمة القبطية، ص١٨٤.

(١٥٨) ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص٣٠١؛ محمود، اهل الذمة، ص ٩٦.

(١٥٩) ابن دقماق، نزهة الأنام، ص١٨٨.

(١٦٠) روفيلة، تاريخ الامة القبطية، ص ص١٦٩- ١٧٠.

(١٦١) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص٦٥٢، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٢١٤؛ محمود الحاج قاسم محمد، الطب والمستشفيات في عصر صلاح الدين الأيوبي، مجلة بيت الحكمة، ع (٣) (بغداد:٢٠٠١)، ص ٧٣.

(١٦٢) ومن اهم مؤلفاته كتاب (بستان الاطباء و الادوية المفردة و اداب في طب الملوك).للمزيد ينظر: إبن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص ص ٦٥٨- ٦٥٩؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (طهران:١٩٤٧)، ١/٢٤٣.

(١٦٣) الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص٥٧.

(١٦٤) المصدر نفسه، ص٦٠٠؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول (بيروت: ١٩٨٣)، ص٢٥٣.

(١٦٥) للمزيد ينظر: محمود، اهل الذمة، ص ص ١٣٤_١٧٤؛ الأتروشي، دور المسيحيين العلمي، ص ص ١١٤- ١٢٢.

(١٦٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ص ٢٠٢، ٢١٣؛ القزويني، آثار البلاد، ص١٣؛ حمزة، الحركة الفكرية، ص٦٤.

(١٦٧) ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص٣١؛ محمود، اهل الذمة، ص ص ١٦٥_١٧٠.

(١٦٨) صبحي عبد المنعم، تاريخ مصر السياسي والحضاري (٣١هـ/٦٤٨م)(القاهرة:د/ت)، ص٢١٤.

(١٦٩) أدم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (بيروت: د/ت)، ٢/٣٨٣، محمود، اهل الذمة، ص ص ١٨٤_١٨٥.

(١٧٠) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ٣/١٥٩؛ الجعيدي، طبقة العامة، ص٩٦؛ محمود، اهل الذمة، ص ٩٩.

(١٧١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/٤٨٨؛ السيد، تاريخ القبائل العربية، ص٢٩.

(١٧٢) المقريزي، إتعاظ الحنفا، ٣/١٥٩؛ عوض الله، الحياة الاجتماعية، ص ٥٩؛ محمود، اهل الذمة، ص ٩٩.

(١٧٣) ابوشامة، الروضتين، ٢/٢٣٦؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ٣/٣١٣.

(١٧٤) محمود محمد الحويري، الاوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين (٦-٧هـ/١٢-١٣م)(القاهرة:١٩٧٩)، ص ص٩٣- ٩٤.

(١٧٥) ابن اياس، بدائع الزهور،١/٨٦.

(١٧٦) الجعيدي، العامة، ص٩٦؛ محمود، اهل الذمة،ص ٢٦٠.

(١٧٧) المقريزي، الخطط، ١/٤٦٦.

(١٧٨) قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر (القاهرة: ١٩٩٣)، ص١١.

(١٧٩) بلبيس: مدينة بمصر بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ. ياقوت الحموي، معجم البلدان،١/٤٧٩.

(١٨٠) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين (بغداد:١٩٤٥)، ص ص ١٧٠- ١٧١، ١٧٥- ١٧٦، ١٧٩.

(١٨١) المصدر نفسه، ص ص ١٧٦، ١٧٩.

(١٨٢) ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الامصار(بيروت:د/ت)، ص١٥، ١٠٨؛ المقريزي، الخطط، ٣/ ٦٩٩.

(١٨٣) المقريزي، الخطط، ٢/٣٧٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ١/٥١.

(١٨٤) ولفنسون، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته(بيروت:١٩٣٦)، ص ص ١٥- ١٦.

(١٨٥) قاسم، اليهود في مصر، ص١٠٩.

(١٨٦) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٣٩؛ القفطي، تاريخ الحكماء من كتاب اخبار العلماء (القاهرة:د/ت)، ص ص ٣١٧- ٣١٩.

(١٨٧) ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص ٥٠.

(١٨٨) المقريزي، تاريخ الأقباط، ص، ٤٤ ؛ قاسم، اليهود في مصر، ص ص١٠٩، ١٢١.

(١٨٩) نيوباي، صلاح الدين وعصره(دمشق:١٩٩٣)، ص٤٣؛ الأتروشي، الحياة الفكرية، ص٩٠.

(١٩٠) ابن العميد، اخبار الأيوبيين(الاسكندرية:د/ت)، ص ص٢٠- ٢١؛ المقريزي، السلوك، ١/٣٠٢- ٣٠٣.

(١٩١) قاسم، اليهود في مصر، ص١٤٧.

(١٩٢) ينظر: النجوم الزاهرة ، ص٢٨ .

(١٩٣) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص٥٨١- ٥٨٣.

(١٩٤) التطيلي، رحلة بنيامين، ص ص ١٧٨- ١٧٩.

(١٩٥) القفطي، تاريخ الحكماء،ص٣١٨؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٣٩؛ ولفنسون، موسى بن ميمون، ص٣٦

(١٩٦) المقريزي، الخطط، ٢/ ٥٨٧.

(١٩٧) ابن الحاج، مدخل الشرع الشريف في المذاهب الاربعة (د/م: د/ت)، ١/٢٣٩.

(١٩٨) ينظر: المقريزي، السلوك، ١/٢٩٤.

پێکهاتێن رەگەزێ چڤاکێ میسری لسەردەمێ ئەیوبییان

پوختە

ئەو گوهورینێن سیاسییێن وەلاتێ مسرێ ب خوڤەدیتی پشتی هەلوەشاندنا دەولەتا فاتمی ل سەر دەستێ سلتان(صلاح الدین)ی کارتێکرنا خو هەبوو ل سەر ژیانا گشتی ل مسرێ د ماوێ دەستهەلاتا ئەیوبی دا (٥٦٧–٦٤٨ك/١١٧١–١٢٥٠ز) ئەوێ پشتەڤانیا زوربەیا چینێن جڤاکێ مسرێ ب خوڤەگرتی، سلتان (صلاح الدین)بریٚکا سیاسەتا خوٚ و کەسایەتیا خوٚ یا بهێز شیا وەلاتێ مسرێ بکەتە ناڤەندا خرڤەبوونێ بوٚ هەمی چینێن جڤاکی ئەوێن کەفتینە ل ژێر دەستهەلاتا وی.

وەلاتێ مسرێ د ماوێ ڤەکولینێ دا بزاڤ و گوهورینەکا جڤاکی دناڤبەرا چینێن جڤاکی و رەگەزێن وی دا ب خوڤەدیت، کو ئاستێ هندەك چینان ئەوێن گوپیتکا جڤاکی ب خوڤەدگرت هاتەخوار و پاشڤەچوو و هندەك چینێن دیتر جهێ وان گرت، و ئەڤ چەندە وان گوهورینێن ریشەیی و سەرەکییێن د پێکهاتنا چینێن جڤاکیدا پەیدابووین د سەپینیت. هەروەسا ئەڤ گوهورینە بوٚ ئەگەرێ پەیدابوونا چەندین گوهورینێن نوی د دەستهە لاتێدا، کو کوردان ل مسرێ شیان چەندین جهێن پایەبەرز د پێکهاتێ کارگیری و سیاسی و ئابوری و جڤاکیدا ل گەل مللەتێن دیتر وەك تورك و عەرەبان ب دەستڤەبینن. هەروەسا مللەتێن خواپەرست ژ جهی و مەسیحیان تەخەیەکا گرنگ ژ تەخەیێن جڤاکی ب خوڤەگرت و ئەوان بەشداریەکا کاریگەر د ژیانا گشتیدا هەبوو و پلێن گرنگ د سیستەمێ کارگیریێ ئەیوبی دا ب دەستڤەئینابوون پشتی چاڤدێری و پشتەڤانیا وان ژلایێ ئەیوبیان ڤە هاتیەکرن، و ئەڤ مللەتە ژ جڤاکی و چالاکییێن جڤاکی د دویر نەبوون بەلکو وان مافێ ملکیەتێ هەبوو و بەشداریەکا بەرفرە د هەمی بواریٚن دیێن جڤاکی دا هەبوو و د ئازادیەکا مەزن دا دژیان د ماوێ سیاسەتا لێبورینا ئەیوبی دا. بەلێ د هەمان دەم دا رولێ هندەك مللەتێن دیتر وەك عەرەب و مەغربی(بربر)ی و ئەرمەنان کێم بوو و بەرەڤ لاوازیێ دچوو.

The ethnical composition of the Egyptian society during the Ayobbid age

Abstract

The political changes that took place in Egypt after the fall of the Fatimid dynasty at the hands of Sultan Salahuddin impact on public life in Egypt under the rule Ayoubi (567-648 AH / 1171-1250 AD) which was supported by the majority of categories of Egyptian society, and enable the Sultan Saladin his policy, and his strong personality that Egypt makes the center of attraction for different groups in society flocked under his rule. Egypt has seen during the period under study mobility socially between the layers of society and its component parts, with the waning influence of some of the elements which occupies the top of the pyramid the class of the society, and were replaced by other elements which confirms the occurrence of radical changes and substantial in the ethnic composition of society, and these changes have led to developments in power, has managed the Kurds that Itbuua a special position in the organizational structure and political, economic and social in Egypt with some of the other categories Kturk and Arabs, as a dhimmi Christians and Jews, an important segment of the segments of Egyptian society, and they had their entries actors in public life and occupied important positions in the administrative Saladin after he had gained the support and care Ayyubid, not dhimmis in isolation from society movement and activity, as was their right to possession, has contributed a greater share in the various fields of life, and enjoyed great freedom under the policy of tolerance Ayoubi. while shrinking the role of some other groups: Arabs and Moroccan(Berberandthe Armenians.